التيجان البيضاء

مجموعة قصصية

أحمد إبراهيم الإسكندراني

دار العلوم
للنشر والتوزيع

اسم الكتاب : التيجان البيضاء(مجموعة قصصية)
بقلم/ أحمدإبراهيم الاسكندارني
طبعة أولى : يناير 2018

التنسيق الداخلي : رفعت حسن سيد

دار العلوم للنشر والتوزيع

ص . ب : 202 محمد فريد 11518

هاتف : 01144764000_01061160988

الموقع الالكتروني : www. dareloloom. com
البريد الالكتروني : daralaloom@hotmail. com
Facebook. com/dareloloom

Twiter: @dareloloom

جميع الحقوق محفوظة

رقم الايداع : 4831 / 2018
الترقيم الدولي : 978_977_380_564_7

إن الاراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن رأى **دار العلوم للنشر والتوزيع**

يمنع نسخ أو استعمال أى جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافى والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

إهداء

جعل الله أمي و شقيقي الأكبر سبباً فظهر هذا الكتاب للنور

و إلى حاضن طفولتي، راعي صباي ، دليل شبابي، مرجع نضجي

من أدفأ أيامي بحطب كفاحه

منيراً سبيل الرجولة بمشاعل المواقف

علّك الآن تبتسم إبتسامتك الساحره

بطلي الأول

و الأخير

إلى أبي

أهدي هذا الكتاب

أحمد إبراهيم الإسكندراني

1. رسالة فوق ضريح

فتح عينيه ببطء

فوجد طريقاً طويلاً غير ممهد

صمتٌ غير محبب لا يكسره إلا صوت رياح موحش بين الحين و الآخر

غمض العين يكاد يسمع

شمس حارقة تحث على الهرولة نحو أقرب ظل

دراجة متوسطة الحجم يعلوها الصدأ

مجموعة كرات الواحدة بحجم راحة اليد

ماذا بعد لديه؟

قلم ورسالة صغيرة في ورقة بيضاء كبيرة

نص الرسالة المكتوبة " قُد الدراجة و الكرات بيديك"

قرأها عدة مرات و لم يفهم

الدراجة قديمة و الكرات أكثر من إثنتين

محال أن يمسك بهم و يقود الدراجة في آن واحد

لا يوجد مكان لحمل الكرات و لا بد من التحرك

لا يوجد إلا حلاً واحداً

أن يدفع الدراجة بقدميه بينما يلعب بالكرات في الهواء كلاعب السيرك

صعبة لكنها ليست ليست مستحيلة " جملة رددها لنفسه

فكر في الإتزان و إحتمال السقوط فبقي في مكانه حتى لسعه قضيب الدراجة المتعرض للشمس

ماذا لدي لأخسره؟

لأمضي بدلاً من أن أبقى

و بدأ التحرك

كان السقوط حتمياً

بعد دورة عجلة واحدة

إشتد غضبه لحاله ، فلم يكمل متراً واحداً

عاود الكرّة و أكمل كلاعب السيرك

زادت المسافة قليلاً قبل أن يسقط ثانياً

و ثالثاً و رابعاً

لم يعُد يعِد كم مرة سقط

تعامل مع السقوط كمحطات للراحة

كان الطريق غريباً، يشتد تعرجاً في أوقات غير متوقعة ثم يلين و يصير سهلاً في أوقات تبدو صعبة من بعيد

لكنه ظل على عهده بكلمة واحدة" مثابراً"

إلا أن برق سؤالاً في رأسه : إلى متى ؟و ما مكسبي مما أفعل ؟

فبدأ يتأمل الكرات ،

لاحظ أن هناك كرات أثقل من الأخريات

ماذا يفعل، كيف يميّزهن ؟

-.إنتهى القاريء من الورقة الكبيرة التي وجدها بجانب ضريح وجده في طريق فرعي بعد أن عرجت سيارته الإستكشافية عن المسار لكنه قلبها فوجد عدة سطور متبقية في ظهر الصفحة

إبتهج لقرب معرفة السر لكنه أوجس خيفة من أن تستمر الحيرة.

فبدأ القراءة:

إلى من يجد هذه الرسالة بعدي،

أدركت الحكمة في وسط الطريق

"الطريق" الذي سنسلكه جميعاً

أما الكرات فكانت كثيرة و الدراجة هى وسيلة السعي في وقتي

لكني فطنت بعد وهلة للنقوش الموجودة على الكرات

بدت غير موجوده لكنها تُقرأ لمن يطيل النظر

من الكرات التي أذكرها

"المال، العلم، الدنيا، السُلطة، لشهوة، الصحة، العمل، الحب" و أخريات لا أذكرهن لأنني أبقيت إثنتين كانتا يحملن ماءاً و زاداً أصبروني على مشقة طريقي.

إخترت أن أبقيهما لمن يريد أن يستكمل الطريق

كان حرف "القاف" آخر حرف، مكتوباً بوهن و تعرج كأنه يدرك أنه الأخير.

تلفت القاريء باحثاً عن الكرتين فوجدهما فوق الضريح بجانب القلم و الدراجة

أمسك بهم فشعر بثقل الإثنتين رغم مرور الزمن و إنقطاع الماء و الزاد.

أدرك الحقيقة لحظة أن قرأ النقوش

كُتِب على الأولى:

الخالق

كُتِب على الثانية:

العائلة

أن تموت ساعياً خيرٌ من أن تحترق بشمس الإنتظار

العلاقة بالخالق كالماء الراوي

و العائلة هى الظل من قرص الشمس الحامي

2014_8_8

2. هديل الأسد

دوماً توصف الأشياء على ما تبدو عليه

فهناك الضاحك و العابس ، الحازمة و المترددة، المتذمر و المثابر .

لأنهم بدوا كذلك أو تصرفوا على تلك الشاكلة .

يقع الخطأ الكلاسيكي في الزعم أننا عرفنا أو أدركنا هؤلاء لكننا نعشق تكرار هذا القول الخاطيء : لقد عرفنا

كل ما أدركناه هو الغلاف أو بالكاد أولى صفحات كتابهم بينما أُهمل الباقي إما عن ضيق وقت أو عدم إهتمام

و لنضع سريعاً صفة لهذا أو تلك دونما إعتبار لما وراء الغـلاف أو لم تصرفت بهذه الشراسة أو الخشونة .

و لم أقرأهم ؟

لسبب واحد مباشر

في وقت ما، ستريد أن يقرأك الناس بكاملك ليس من غلافك فقط

ستحتاج أن تُقرأ بعيانة . و إن بدأت بنفسك، فزت بها مدركاً النواقص قبل المزايا لقراءة أعمق من غيرك .

و من يدري؟

لعلك تسمع "للأسد هديلاً و لليمامة زئيراً و للرعد خريراً و للزهور هديراً

الخلاصة :

قبل أن يُسأل ماذا فعل ، يُسأل : لِم فعل؟

2014_8_15

3. ريشة من جناح شيطان

كيف بدأ الأمر ؟

أكان الخير أولاً ثم ثانيه الشر؟

أم كان هناك أمراً ثالثاً لم نعلمه و قد سبقهما ؟

أعجب حينما ينحرف المسار عما هو مفترض .

فالمفترض يظل صحيحاً إلى أن يحدث أمراً يغير من مساره .

ألحظ الكاذب متكلماً وأسمع الواشي موسوساً و و أرى الخائن غادراً و أُدرك الظالم قاهراً .

لكن ذلك ليس الأمر كله

ففي مشهد آخر ، كنت أسير متمهلاً حتى لمحت أناس يهرولون

فتسائلت ما الأمر ؟

لا أحد يجيب و الكل يهرول

ثم تنامت أصوات مبهمة كلما إقتربت من الحشد إلى أن سمعت صرخة :

ـأنقذوهم

تدافعت بين المناكب لأروي عطش فضولي

فأدركت الموقف

هبوط أرضي مفاجيء سقطت به سيارة و إنقلبت رأساً على عقب

حرارة شديدة صاهده لأعلى و أدخنة متناثرة حاجبة قليلاً ثم كاشفة للمشهد

صراخ إستغاثة متوقع قابله أصوات مطمئنة

لفتّ سمعي تلك الأصوات المطمئنة، سمعتها من قبل.

لكنها بدت مختلفة

ثم لاح المشهد جلياً

السيارة محطمة، صياح برفع السيارة معاً من حفنة رجال لإنقاذ ركابها العاقين .

أحبال ممتدة من أعلى الحفرة وآيادي ممتدة من كل الحشد معضدة سحب الأحبال كأنها ساعد عملاق إغريقي

وجدت نفسي من بين الممسكين بالأحبال

كان الحمل ثقيلاً للغاية لكن العزم و الإصرار كانا كفتهما الأرجح

فرُفع المصاب الأول ثم تلاه الثاني

أما الأخير فأنقذ بأعجوبة بعد هبوط جزء آخر من الأرض هشم جسد آخر منقذ و أصابه إصابة بالغة لكن المفارقة أن جسده حال دون وفاة المصاب الأخير .

إبتهج الناس بما صنعوه من عمل و بدأت الإسعافات الفورية للـذين كانوا بالأسفل .

أدعية صادقة و دموع ممتنة صاحبت المنقذين بعد خروجهم .

سمعوا كثيراً من المـدح و رأوا الأكثـر مـن شـد الأزر إلى أن رأيـتهم أمامي .

لم أصدق عيني

فقد كان الكاذب أول المنقذين و الواشي ثانيهم أما الخائن فـرفض أن يساعده أحد و مضى صامتاً متأملاً ما حدث .

ـبسرعة

قالها أحد المسعفين حاملاً آخر منقذ المهشم الجسد .

توقعت أن يكون هو و قد كان حدسي في محله

كان الظالم غارقاً في دمائه لكنه للعجب مبتسماً برضى .

إنتهى الموقف و بدأت التساؤلات تأز كالنحل .

كيف ظهر ما فيهم من نخوة و مروءة رغم شرهم ؟

هل كان مقدراً أن يظلوا كذلك إلى أن يدركوا أن بذرة الخير لم تمت بعد أن رويت بفعلهم؟ أكان قدرهم أن يدركوا الطريق بهذه الطريقة المتعرجة؟

لن أنسى ما رأيت

و على يقين بأنهم لن يكونوا مثلما كانوا من قبل .

فلقد أدركوا أن الله أمهلهم فرصة أخرى في الدنيا قبل رفع الأقلام و جفاف الصحف

رأيت إدراكهم في إبتسامتهم الشاردة كدليل على فك شفرة السماء .

فقد تسقط من جناح الشيطان " ريشة "

تشفع له يوم تنطق الأشياء كلها

2014 /8 /22

4. "خطوة للوراء"

مرور إعتيادي من إحدى الشوارع الجانبية بوسط القاهره

أسفر عن تجربة سيئة لعادل سند

المراجع المالي الوقور ذو النفوذ النفسي قبل المهني

ظنّه مروراً يقتصر الطريق لسيارته

المصفوفه بشارع مواز لهذا الشارع شبه المُعتَم

وجد نفسه على مسافه لا تزيد عن خمسين متراً من شبح بني آدم

تبين أنها فتاه

لا من شكلها

بل من صوت بمنتصف المسافه!

إستنتج أنه صادر عن مجموعة مراهقين

يخدمون حاجه مُلحه في أذى الغير

لفظاً أو فعلاً أو إشارةً

حتى وجدهم يقتربون من الفتاه

هتف عادل بصوت حادٍ عالٍ محاولاً لفت الإنتباه و طمأنة الفتاه في

حصار القُبح :

يا ولد !

إلتفت الشباب لصرخة عادل

دنوا منه في تنمر يُسفر عن أقلّهُ مشاده و مشاجره غير مُستبعده

بادره أحدهم :

نعم؟

إحتد في السؤال :

ماذا تفعلون ؟!

جاءت الإجابة نتاج قُبح مستنفر

ليس كلام

بل شخرة صدرت عن أحدهم

قبل أن يُعقب آخر دانياً بوجهه من وجه عادل حتى كاد يُلامسه :

و هل لأمك شأن أن تعرف ما نفعل؟!

إشتم عادل رائحة غريبه مُنبعثه من فم الفتى

الذي تدلّت شفته السفلى في تحدٍ مستفز بغيض

ما لبث أن دعا أعوانه على محاصرة عادل

بل و دفعه حتى مدخل الشارع

ذائقاً ألواناً من السباب و اللكزات في الصدر و الوجه

ستر الله أنه لم ينزلق أو يقع

تلطخ الوقار و تبدد الهِندام

و الأسوأ

أنّ سيطر الخزي على عادل بعد رحيلهم ساخرين هازئين

رغم نجاحه في تشتيت الضباع عن الغزاله

إلا أنّه لم يرد إهانتهم

للتكاثر و لشعوره بالخوف رغم الخبره

قضّ الموقف مضجعه ليلتها

و جعله ضائقاً بأي شيء

مفكراً بالحدث

أو الحادث

فعادل سند مراجع مالي شديد الخصوصيه

لما يهواه من مطالعه و قُدره على الصبر في الوصـول لأفضـل النتـائج
أثقلا شخصيته في العمل و خارجه
لذا فشلت الكتب و التلفاز في تيسير الأمر عليه
و بات على ضيقه وحيداً
ليصبح على أمل
لا يدري من أين جاءه
علّهما الحِلم و الدُعاء قد رفعا الهم و الحَزن عنه
مع أول يوم
في مؤتمر التعريف بريادة الأعمال
الذي كان متحمساً له أشد الحماس
و فقده بكل تفاصيله ليلة أمس
قرر ألّا يذهب و أن يعتذر متذرعاً بأي عوائق تخطر على باله
إلّا أن إحدى المنسقات الصغيرات هى إبنة أستاذه فؤاد كامل
أول من أثّر به وقتما كان خريجاً صغيراً و جعله يحب أصول المراجعـه
الماليه كنوع من الفن لا إمتهان لكسب الرزق فحسب
ظل ذهنه يُردد : ليتني ما وافقت من البدايه!

قرر أن يذهب كارهاً للكل

إختفت بشاشته المعهوده

سؤِل كثيراً : ماذا بحضرتك؟

و الإجابه : لا شيء

تلك "اللاشيء" التي تحوي الكثير

كان موعده لإلقاء محاضرته التقديميه عن أسس و أصول التخطيط المالي بعد ساعتين من بدء المؤتمر

بعد ساعتين !

أقضي فيهما ملاحظة جيل السخفاء في حضرة السأم

ماذا صنعت كي أتعرض لهذا الإختبار ؟

السير وسط الروث الليّن مع شرط عدم التلطخ

يا لنجاسة الموقف

تشجيع الحثالة و التافهين

نعم

إنّي أبغض هذا الجيل

فلا جدوى منهم أو فيهم

لم أفقد موضوعيتي بل إكتشفت أن ما أفعله ليس سوى نقطة ماء عذب في محيط ماتت أحيائه من الملوحه

إستقبل إبنة فؤاد كامل بإبتسامه مصطنعه

توجه للقاعه وسط ترحاب ملحوظ منها

تمسك بما يُشبه فؤاد كامل متمثلاً في إبنته سهيله

دخل معظم الحاضرين في الموعد

لم يكن بحاجه إلى أي نوع من الأجهزه التقنيه

تعمد إخضاع الحضور لقلمه و اللوحه البيضاء فقط

ليذهب من يملّ من حديث صاحب الخمسون عاماً إلى غير رجعه

لم يبدأ كعادته بالترحاب

بل بالسؤال دون إذابة للجليد

عن ماهية التخطيط المالي

أراد أن يُظهر البون الشاسع

بين خصيلته البيضاء و رؤوسهم الشعثة

و كان له ما أراد في غير ود

كل من جاء متأخراً

نال من عادل نظرة بألف كلمة

تحوي الإحتقار و التهكم

رغم ذلك إستفاد الحضور و جاءت أول إستراحه قصيره

على إستحياء و تردد جاءته أسئله عدّة

أجابها جميعها في إقتضاب لكنه حقاً أجابها

في الفتره الثانيه وصل العدد إلى النصف بفرار الباقي

و دخلت وجوه جديده

إستطلعها سريعاً فلحظ منهم واحداً أرغمه على الرجوع إليه

تردد عادل ثم سأل الفتى على غير توقع :

أهناك فرق بين المحاسبة و الإدارة الماليه ؟

إزدرد الفتى ريقه ثم تنحنح قائلاً :

المحاسبة هى . .

لم يسكت الفتى

بل كُتِمت الأصوات بعدما سمع عادل صوته بأذنيه

نعم هو نفس الصوت!

الذي داهمه بالأمس

لذا تحاشى الفتى النظر إليه حينما حدّق عادل في وجهه بنظره تحمل بروده سيبيرية

أنهى الفتى ذِكر الفارق رداً على سؤال عادل

لكن عادل لم يسمع له

لأنه لم يكن هناك إلا بجسده

أمّا عينيه و ذهنه فقد عادا للأمس المُهين

لذا وجد نفسه يقول :

ماذا قلت؟ أعد مرة ثانية

قبل أن يبدأ الفتى في الإعاده كانت هناك طرقات خفيفه على باب القاعه قطعت التوتر

لتدخل سهيله و معها رئيس المؤتمر الذي رحّب بعادل و عدد خبرته و مواقفه السابقه أمام الجميع و التي جعلت من هذا المؤتمر حلقة للإستناره و تطوير محتوياته كل عام

و كان السبب الرئيسي من مقاطعه الندوه التفاعليه هو تشجيع الحضور على التغيير و المرونه

لذا، قرر رئيس المؤتمر أن يُكوّن كل متحدث ذي خبره ـمثـل عـادلـ فريقاً من فردين من المشاركين بالمؤتمر إشتراكاً في مسابقة تفاعليه تستمر لمده ثلاثة أيام هى مدّة المؤتمر تنتهي بعرض كل فريق لنموذج في رياده الأعمال يشمل الجوانب المطروحه في المؤتمر

لم يَرد عادل أو يتعذّر

بل صمت ليستجيب

بعد تأن دام للحظة

ثوان معدوده إسترد فيها نضجه

كأنما سقط منه بالأمس أثناء المشاجره ووجده في وضح النهار

قرر أن يخطو خطوة واحده للوراء

مانحاً مساحة تقدم لهؤلاء

أومأ في إيجاب مودعاً رئيس المؤتمر

و بنهاية الفقرة الأخيره من فترته

إختار فردان

نوال ، التي بدأت المحاضـره و لم تشـرد للحظـه و أضـافت الكـثير بأسئلتها

و نديم !

الذي أظهر قدر من المعرفة رداً على سؤال عادل

و هو نفس البغيض الذي قابله بالأمس لا محال بعدما نظر لعينيه

لكن كيف؟

نفس الشخص المستهتر هو المهتم بالجدية و الجديد ؟!

لهذا كانت تلك الخطوه للوراء من عادل

ليصنع مساحه لكل من نوال و نديم و بالأخص الاخير

و أعلنت شروط المسابقة

أراد فيها عادل الإنصات لهما بجديتهما

و التي إزدادت في اليوم الأول

و لاحظ إزديادها الطردي

كعلاقة في دالة رياضية بين متغيرين

كلما أنصت إزدادا طوعاً

و كلما لان إزدادا تماسكاً وإنتاجاً

حقاً ،لم يُصدّق إلّا من خاض التجارب و أدمت الأخشاب آياديه وقت الثقف لجعلها رماح

تعثر عادل في شرط من الشروط

كره أن يُظهره لنوال و نديم

كما كرها كلاهما وقت أن ظهر الفارق بين خبرتهما بمستهل المؤتمر و خبره عادل

أضاع وقتاً واضحاً محاولاً البحث عن حل فردي دون معاونتهما

حتى قرر آخر قرار من ضمن إختياراته

في بداية اليوم الأخير سألهما :

من منكما تعرض للتسويق الشبكي من قبل؟ ليس الذي إنتهى بعملية نصب و لكن النوع الآخر ؟

ردت نوال بقلق :

تطرقت إليه كقارئة عادية

أما نديم فأجاب سريعاً :

أنا ، فقد كنت ممن تعرضوا لعملية نصب من قبل تحت غطاء التسويق

الشبكي و لهذا أدركت الفارق بين الزائف و الحقيقي و أسس التسويق الرقمي أيضاً

صمت عادل تحليلاً دون إبتهاج يُذكر ثم قال :

ليس لديك من الآن و حتى نهاية وقت المسابقة و عرض مشروعنا إلّا هذا الموضوع

ثم أردف :

ستشرحه أنت

بوغت نديم فهمّ أن يعترض، إلا أن تشجيع نوال و نظرة قاطعة من عادل أطبقت شفتاه

رسم عادل الميزانيه العامه لفكره المشروع ببساطه جعلته يبدو أصغر سناً من نديم و أقرانه

جعلها تجمع البساطه في الترويج و كيفيه تفادي سبل الإحتيال عن طريق الإنترنت و التسويق الرقمي و الأصاله في إبتكارها

ثم جعل نديم و نوال يتمرسان على العرض أمامه

واضعاً إياهما في محاكاه لأسئله صعبه مُفصِده للعرق

تمرس أسفر عن نمو ذهني بالتجربه الفعليه لكلاهما

و إكتفى عادل بالمشاهده وقت المسابقه

عكس باقي المدربين

الذين فضلوا أخذ لقطه على حساب الناشئين

أما عادل فبريقه داخلي

يلمع من الجوهر

و يتوّج بصغار اللآليء

و بدأت نوال

التويجه الناشئه واثقه بشوشه مبتسمه

لا ترتبك إن وجه إليها سؤالاً

و صفق لها الحضور أكثر من مره إمّا عن رد سديد أو عرض أنيق

و في إنسيابية سباق التتابع ، سلمت المسرح لنديم

الذي بدا مرتبكاً للحظة لولا نظره عادل الساندہ المطمئنه

إسترد بها نفسه و طرح أول سؤال عن الإحتيال في التسويق الشبكي

فكان بمثابه مفتاح الحديث بالنسبه له

و إنتهى العرض بختام مُنضبط مع التوقيت و العد التنازلي المعـروض

بتشجيع غير مسبوق من الحضور

و تم تصفيه الفرق

ليصل فريق عادل المُكون من نوال و نديم إلى التصـفيه النهائيـة علـى المركز الأول

و أعلنت النتيجه

بعد إزدياد ضربات القلب و تعرق الكفوف

بفوز فريق عادل بالمركز الثاني

جاءت فرحتهما بصوره مُلفته مباغته

لأنهم لم يتصوروا أن يصلوا لهذه المرحله على أي مستوى شخصي

خاصة عادل، الذي دخل المؤتمر كارهاً فخرج مُحباً بعد الخطوه الخلفيه التي ما أخذها حتى أتاه العائد من إستثمارها

تسلموا الجائزه الثانيه و أعقب ذلك لقاء مع المذيعه الداخليه للمؤتمر

هنأتهم في كلمات موجزه و بدأت من نوال التي قالت بحماس و تأثر :

تجربة لا تنسى أشكر فيها أستاذ عادل و زميلي نديم . لم أتوقع حتى أن أبدأ أو الإستمرار للنهاية خاصة بسبب ما حدث قبل المؤتمر بليلة

إستفهمت المذيعه بحثاً عن خبر :

ماذا حدث؟

عقّبت نوال في حضور نديم و عادل :

ليلة دفع الإشتراك لحضور المؤتمر، مررت بمكان قريب من هنا ، و إصطدمت فيه بمجموعه من المراهقين كادوا أن يتهجموا علي لولا أن أحد الماره صاح فيهم فتوجهوا إلى صوته مما سمح لي بالهروب منهم لحسن حظي . أود أن أشكره رغم أني لا أعرفه لأني لم أنظر خلفي و أود أن أرسل رساله لهؤلاء الشباب : هناك أشخاص أسوياء محترمون مثل زميلي نديم الذي أكن له كل تقدير و إحترام و لولا مساندته و مساندة أستاذ عادل لما نجحنا جميعاً

وجم عادل من تعقيب نوال

أما نديم فقد تحنّط في مكانه

لذا لم يسمع ما سألت عنه المذيعه إلا بعدما أعادت السؤال و عقّب بجملة واحده :

شكراً الحمد لله

وحده عادل الذي أدرك السبب

و بتبادل التهنئة و الوعود بالبقاء على إتصال

ودّعا نوال بعد أن إستقلت التاكسي

و شرع عادل في الرحيل

إلّا أن نديم إعترض طريقه قائلاً :

أريد أن أبوح لك بشيء، أنا . .

لكن عادل قاطعه متخذاً خطوه للوراء :

كلا . لست أنا هذا الرجل الذي أهنته أنت و أصدقائك حينما تعرضتم لنوال . ألف مبروك!

2017 /12 /15

5. بين شيخين

تعوّد الصبي ألا يرى الأشياء أو يصنفها على شاكلتها، بل على جوهرها

فهو لايرى الشيء لشكله ، بل لمضمونه و ما يتركه بداخله من أثر

دائماً يدور بخلده هذا التساؤل :

ماذا يدفعني لقبول أو رفض شيء؟ أهو الأسلوب أم الأثر المتروك بنفسي؟

لم يمهله القدر كثيراً للتأمل ، فبينما كان سائراً مر بجانب أحد المساجد الغير معروفة

تذكر حينها ما دار بينه و بين شيخ منذ عام تسبب في عدم ذهابه للصلاه في المساجد بل و الإنقطاع عن الصلاة في بعض الأحيان .

كان ينتظر موعد الصلاة فإذا بوقع أقدام ثقيلة تأتي من خلفه

إلتفت ليرقب وقع الأقدام فرأى أمامه جسد ضخم لشيخ في منتصف الخمسينات من العمر

بدا على الشيخ بدانة واضحة تجعل من حركته أمر جلل و مشروع كبير فقط لمجرد حركته في جلبابه الفضفاض المرغم على تغطية مستودع

الشحم المتحرك

لحية مطلقة بغير إكتراث تُنفِّر من ينظر إليها ، وجه عابس دون داعي .

ما لفت نظره أن الشيخ لا يبتسم في وجه من يحيّيه من المصلّين بل يبقى على عبوسه كأن العبوس هو جزاء التحية

كل هذا لم يهم ، فالأهم للفتى ما حدث بعد ذلك

بعد أن فرغ من ركعتين نافلتين، سمع صوتاً لثور يرتمي على الأرض

ـ تقبل الله

ـ منا و منكم يا مولانا

ـ صلاتك غير صحيحة

ـ لم؟

ـ يداك في الركوع و السجود ليستا في محلهما كما هو مفروض في صحيح الصلاة

ـ يبدوا أني قد تعودت على . .

ـ هذا ما أوصلنا لما نحن فيه . تعودت، غفوت، نسيت

تخلل الجملة الأخيرة حركات متمايلة نتج عنها هواء غير زكي لرائحة

تعرق كريهة ذكّرت الفتى تلك الحركـات بفقـرة الرخويـات و هـم يدعون الجمهور لتشجيعهم .

أضمر الضحكة و أدرك انه لا يعيب على الخالق بل المخلوق و كيف لا يحترم حجمه من حركات بهلوانية . ثم قاطعه صوت الشيخ

ـصلاتك باطلة لتعدها مرة ثانية و ليغفرلك الله

ثم تركه قبل أن يرد عليه

قرر ألا يحط قدماً في هذا المكان مرة ثانية ، لقد شعر بضيق و تضييق من مكان يفترض فيه رحابة المشاعر و الصدور تطهيراً للقلوب و تزكيـة للنفوس .

ففضل أن تكون صلاته منفرده كي يستفيد منها بينه و بين بارئه .

إلى ان وقعت عيناه ذاك اليوم على رجل أهداه القدر إليه

أول ما لفت نظره تلك اللآليء البيضاء التي كشف عنها حينما تبسم في وجه من يحيّيه

لم يكن قد بادره الكلام لكنه أدرك أن إبسامته عادة تحولت إلى سلوك حميد

وجد نفسه مرغماً أن يتبع هذا الرجل ، فهو يحب الجوهر برغم إعترافه بأنه إنجذب للمظهر

دخل المسجد بعد عام و كل شيء كما هو إلا إضافة وجود هذا الرجل

شيخ في منتصف الستينات

لحية شعراوية ناصعة البياض هُذبت بعناية أم تصفف خصال إبنتها ليلة زفافها

جلباب ناصع البياض يشع نوراً

جسد متوسط يبدوا عليه علاملات إعتناء و إهتمام بالمظهر

ظل الفتى يرمق الشيخ الملائكي بدقة الساعاتي دون أن يدري لم

كيف يتحرك كالفراشة في رحاب المسجد

كيف يلتفت بهدوء مدروس

كيف يبدو إحمرار كعبيه و نظافة بشرته

لم يكن هناك وجه للمقارنة حينما أقبل إلى الشيخ

رائحة زكية تحوم قبله بمسافة تُطهّر من يدخل في نطاقها و تُزكّيه كرماَ

إستقبلته الرائحة الزكية و الفم الباسم و اللحية المهذبة سفراء لجلالة الملك الجالس متعبداً

ـأهلاً و سهلاً (بادره الشيخ)

ـأسف للإزعاج

ـإطلاقاً

ـأشكرك

ـعلى ماذا؟

ـلأنك كما تبدوا

تبسم الشيخ الملائكي

ـأردت أن تراني هكذا فأصبحت كذلك

نودي للصلاة

ـأنت الإمام (باغته الشيخ)

ـنعم؟!!!

ـأنت إمامي

ـو كيف لي في وجود حضرتك؟

ـإنه طلبي الأول . من فضلك؟

ـشيخي الجليل . لا أريد أن أخفق

ـ نحن جميعاً نخطيء و سنظل نخطيء . الفارق بيننا هو من يغتنم الخطأ فرصة و من يرد الخطأ على غيره دون إعتبار أو تدبر أنه منحة كي نكون أفضل .

لم و لن نخلق شيوخاً أو رهباناً بـل إخترنـا أن نكـون بعـد أخطـاء و دروس تركت أثراً فينا . فاللحية لا تصـنع شـيخ و الـرداء لا يصـنع قديس

أقبل يا إمامي و إن حدث خطأ فخالق الغفران حولنا فكيف لا نغفر لأنفسنا؟

تقدم الفتى مفتوناً بأسلوب الشيخ ، لقد مر عليه زمناً بعيد ليكون في صلاة جماعة فكيف يكون إماماً لإمام الأئمة ؟!

تردد ثانية ثم نظر إليه فرآه على حاله

باسماً مستبشراً ثم دعمّه بإيماءة توكيد أنه سينجح .

تأكد الفتى من وضعه كإمام ، تنفس بعمق متردد ثم رفع يده

ـالله أكبر

2014_9_19

6. وردية ليلية

إستلقت الفتاه على فراشها باسطةً ذراعيها في هدوء

ماسحة بيديها فوق ملاءته الملساء معلنة إستقلالها

بهذه البقعة من حجرتها .

هذا الفعل يجعلها تشعر بإطلاق سراح روحها من

مادية جسدها و قصوره في بلوغ ما هو بعيد المنال .

هدوء تدرك ما يتبعه من دورة عمل

دورة عمل ذهنية

تكاد ترى عاملاتها بملابسهن المتسخة و قفازاتهن

الممزقة و معاولهن السميكة و وجوههن الملطخة

بالشحم .

عالم الحُجرة الخارجي ساكن هاديء لا يدري أن

ورشة العمل قد بدأت أصعب وردية .

وردية ليلية

حاولت الفتاه الحفاظ على إستقلال فراشها منهمكة

بمداعبة خصلة من خصيلات شعرها .

تتحدث معها بجدية مبالغ فيها و تعاملها معاملة

الراهبة ليمامة شاردة في شرفة الكنيسة

لكن المفر ليس بأمر هين من أنين الفكر و صدع التدبر

فالعاملات ينتجن و يكدحن و عليها أن تنصت لمطالبهن

فليس ذنبهن أنهن يعملن بداخل عقلها .

ثم بدأ الأزيز يزداد من خافت إلى مسموع

أفكار بسيطة تتحول إلى أطوار أكثر تعقيداً كلما

سمحت لها بالنمو و التجسد

تدرك أن عاملات الوردية سيبدأن إلقاء أحجارهن

عليها و لا بد لها من أن تتأهب لتلقف ما يأفكن .

ثم بدأ إلقاء الحجارة :

هل أؤدي ما علي تجاه من حولي؟

هل قصرت في واجب من واجبات يومي؟

هل أفعل ما أريد منذ أن نضجت و أضحيت أُفكر؟

هل أنا سعيده بحياتي؟

بل هل أنا راضية عن نفسي؟

تسمرت عند السؤال الأخير

إنه حجر كبير قد أُلقي بسرعة و قوة فعجزت عن أن

تتلقفه فسقطت معه أرضاً.

فمن أين لي بمعول يفتت مثل هذا الحجر ؟

الرضا عن نفسي

إنها الآمارة بالسوء و ليست بمن تأتي طواعية

بل بعد مُر التجربة و إجهاد المحاولة

إن الحجر ليكاد يجثم على صدري حتى أعجز عن التنفس

لكن مهلاً

أين عقلي الذي يعجز الرجال عن تتبع إيقاعه؟

أين إرادتي التي تسطر إنتصارات حياتية يشهد لها

الغريب قبل القريب؟

إنه ليس إلا بحجر قد أُلقي بقوة و لا سيما أني لا

ألقف إلا ما هو قوي

مجرد حجر

مجموعة من الذرات تكتلت في صورة سؤال متصلب

لذلك

فإني أعلم أنني لن أرضي جميع من حولي مهما

صنعت و راضيت و لاطفت و تجاوزت

و لن أجد ما أحلم به من حياة كاملة

لأنه لا توجد حياة مُثلى بل حياة أمثل

لا توجد إلا حياتي و لن أرضى بها بديلا

إذن

لأمسك معولي و أبهر عاملاتي

إنظرن كيف أُفتت أحجاري

كيف أرسم بريشتي لوحة جمالي

كيف أعزف بقوسي لحن عطائي

كيف أستمد قوتي من عقر دائي

خُلِقت مختلفة لأكون قيمة مضافة

حتى وإن بدوت من عاملات النظافة

سأعيش الحياة التي أحببتها و إرتضيتها

فأنا التي تحسن إنتقاء النفيس وسط السائد

والغالي وسط البخس

روحي هى زادي

قلبي جواد له صهيل جاسر

لكن عقلي فارس يلجمهُ وقت الجموح الهادر

سأنتصر لأني أردت

حتى و إن سقطت و تساقطت دموعي مني

فتجربتي نشأت و أيعنت بعد إرتطامي

و الآن نضجت ثمرتي الغالية

فهنيئاً لمن يستطيع قطافها

و بئساً لمن تصورها دانية

إنتهت الوردية و سكنت الآلات و إنصرفت العاملات

منهكات من وردية شاقة

ستأتي ليال أخرى تحمل في طياتها ورديات بعضها

يسير و أكثرها صعب

لكن تلك هى طريقتي في الزود عن مملكتي

و أنا لا أرضى إلا بطريقتي

حتى و إن كان الثمن " حياتي " .

2014_9_26

7. حينما تماست السماء بالأرض

ظل الصديقان على علاقاتهما مهما بدر من أحدهما من فعل سوء أو نقيصة على مر العلاقة

لا يدركان ما ربط بينهما و لا يريدان أن يتفلسفا للإتيان بسبب المحبة و الترابط .

فقررا أن تدوم العلاقة كما هى . شركاء في كل شيء ، صرحاء في التعامل

لكن لكل شيء حد

فكل منهما لديه منطقة محظورة لا يكلمه فيه الآخر إحتراماً و تقديراً و عرفاناً بأن الطرف الآخر راعى نفس المنطقة

إلا أن تسلل تساؤل وسط مظلة تفكير : كيف لي بأن أدخل منطقته المحظورة التي قد تفسد صداقتنا

هل أصارحه برأيي أم أتفنن بشكل غير مباشر و أجعل من طريقتي أسلوباً يحتذى به للوصول للهدف ؟

إنه يدرك أعذار صديقه و مبرراته كما أنه يعي شخصيته بحكم المواقف و ردود الأفعال

لكنه أيضاً يشعر بأن صديقه سوف يكون أفضل حالاً إن دخل حياته مثل هذا الأمر

فبينما كانا يتحدثان يوماً وجدها فرصة سانحة و قرر أن ينفذ خطته عل رب السماوات يستجيب

طرق متأملاً شارداً عن عمد و هما يتحدثان حتى يلحظ صديقه ، إلى أن خاطبه سائلاً: فيم شردت ؟

رد عليه: لا شيء التي تعرفها

عاقبه ضاحكاً : واضحة جداً و قد إنتهينا منها ، زدني من " لاشيئاتك " المليئة بالكنوز

ـ شعرت بشيء غريب

ـمنذ أن عرفتك و أنت تشعر بالغرابة ، يبدوا أنك لا تعرف شيئاً عادياً

ـلكن تلك المرة لم تكن عاديه، لقد شعرت بستوى جديد من الإحساس قلما يأتي و كأنه نفحة سماوية

ـقد أقدحت زناد فضولي، ماذا حدث

تنهد وقال : كنت في حالة ضيق من أمور تعتري ذهني، ثم بدأت السلبية تسيطر علي كسرب جراد جائع وقعت عيناه على مساحة خضراء يافعة فإنقضت لا تبالي بكل شراهة ملتهمة ما تبقى من أمل و

رجاء ثم ذهبت عني .

بادره صديقه : ثم ماذا حدث؟

ـبعد نوم عميق من الإجهاد و التعب، إستيقظت على نفس الحال . لا أشعر بأي تحسن و الأمرقد تسلل إلى جسدي فشعرت أني غير مؤهل لأي نشاط . خامل كالنائم حتى إستفقت تحت الماء و توجهت إلى غرفتي مرة أخرى . قلت لنفسي : لأصلي ما فتني و أنا نائم ثم أعاود النوم .

ـثم ؟

ـإنتهيت من الصلاة لكن روحي وقعت على قطعة أمل خضراء لم يلحظها جراد اليأس

ـو ما هذه القطعة الخضراء؟

ـ أشار بيده إلى الأرض و قال :

ـصدقني ، لقد تحررت من كل قيد حينما مس جبيني الأرض . لقد إستسلمت لخالق القوة و الضعف . لم أتفوه بكلمة فهو خالق الصمت و الكلام . كانت زفرة شديدة الحرارة و اللوع مرادفها اللغوي : أنا لا حيلة لي . أنا لك أكن أصلي بل سجدت

سجدت بحاجتي و جبيني مثقل بالأفكار و الهموم و عدم القدرة .

منذ أن رفعت رأسي، شعرت أن رغم وجود نفس الأفكار و التساؤلات إلا أن هناك درع رادع مبطن برحمة و سند يجعلني أقوى مما سبق . لقد أخطأت و سأخطيء لكني أدركت أن المساحة الخضراء مهما كانت صغيرة كفيلة بأن تحيليني من مجرد يأس متحرك إلى رجاء مرتقب .

تبسم صديقه للجملة الأخيرة لكنه أعقبه قائلاً :

أنا لن أدخل مناطق محظورة لكني كنت سأوبخ نفسي عن أني لم أشرك رفيق العمر مثل هذه التجربة . لن أقول لك إفعلها أو جربها فمن أنا كي أنصح أو أرشد . فقط مررت بتجربة تبدوا كالظاهرة الكونية لا تتكرر إلا بمرور سنين طويلة . حينما تتماس السماء بالأرض مستجيبة لجبين نادم يترجى الأمل .

غادرا المكان معاً بين أمل في نفس الراوي و تساؤل في نفس المستمع للرواية .

هل سيجربها أم سيكتفي بها رواية؟

ليس المهم أن يجربها لكن الأهم أنه شاركه الإحساس و تركها له كيفما يشاء لكن شيئاً في نفس الراوي قرّبه من أنه يوماً ما ستكون روايته أول قطرة إرتوى بها صديقه من نهر السكينة .

2014 /10 /3

8. حبا الفن معاً

لم يقتصر الأمر على القواسم المشتركة

لأن الإختلاف كاد أن يكون جذرياً

فهى كيميائية تعمل في البحث و التطوير

وهو محاسب يعمل في التحاليل المالية

إلا أن شاءت الظروف يوم أن إجتمعا في حفل موسيقي كمستمعين .

ذهب وحده كالعادة و كانت برفقة صديقتها لكنها جلست في الكرسي المجاور .

لم ينتبها لوجود بعضهما البعض لأن تركيزهما كانا منصباً على المسرح .

إلا أن سمعا هذه الكلمة معاً : الوتريات نشاز .

قيلت في نفس اللحظة في تزامن ملفت ما لبثا أن إلتفا في دهشة لمن قالها في نفس اللحظة .

تحولت النظرة إلى إبتسامة أعقبها ضحكة محرجة مبررة للموقف موكدة للفعل .

نشأ عن اللفتة صداقة توطدت بفعل النقاشات الفنية . فلم تكن

الموسيقى وحدها قاسماً فنياً بل تدخل الأدب و السينما و الأهم تدخل الذوق .

فأصبح من المعتاد أن تجاريه و يجاريها في أمور شتى .

لم يكنا من مرتادي حفل موسيقي ما بدافع موضة أو تقليعة سادت المدينة و سايرتها الكُتل .

عشق فيها حبها لأم كلثوم و هى تقول "يا ناسيني" في يا مسهرني و ليست كل الأغنية .

كما قبّلته في سريرتها حينما لفت نظرها إلى عبقرية جاهين أن يلف مصر كلها في الليلة الكبيرة" دول فلاحين و دول صعايدة، دول من الكنال و دول رشايده"

ظلا يتبادلان الرسائل النصيّة على هذا النحو إلا أن جاء حفل آخر و إتفقا على الحضور معاً .

كانا أقرب إلى لجنة تحكيم موضوعية من إدراكهما لما يعزف من جيد أو سيء .

بعد الحفل ، تسلل الفضول خلسة في خفة لص متاحف .

سأل عن الهوايات فإستقبلتها بإصطناع غباء بارع

و تمادت إلى أن ألقت الكرة في ملعبه سائلة عن القراءة و الكتب

الجديدة .

كانت الأعين تفك شفرات الرسائل المرسلة بدقة متناهية الصغر مستغنية عن الأفواه و غباء ما تبوح به من كلام غير مرتب .

ثم جاء يوماً عادياً قررا أن يتقابلا فيه .

ساد الصمت أكثر من الكلام

إدارة الأعين كادت أن تستعين بأعين أخرى لتحمل ضغط الشفرات المطلوب حلها .

لكن أنوثتها طغت و طرحته أرضاً سريعاً

إبتسمت

فقط إبتسمت ، لم تعقبها بضحكة .

كم كانت قاسية لكن حقها

فقسوة الذكاء تبتلع مع الحرفية

تركته في إرتباك مدير عام سقط سرواله في إجتماع الشركة السنوي .

عاد إلى البيت في حيرة و حرج و دهشة و فضول و ضيق و رجاء مجتمعين بشكل لا يطاق و لا يريد أن يغيره أيضاً .

أيتحدث إليها أم يصمت لرجولته الغبية؟

أيصارحها أم . . .

قاطعه صوت رسالة نصيّة

لم ينتظر أن ينتهي صوت الرسالة القادمة

ضغط جميع الأزرار ليقرأها

يا لخالق الكون من بديع صنعه لعقلها

كانت رسالتها لا تساوي إلا أن تحمل شعار

" شديدة الإيجاز بالغة النفاذ "

كان نص الرسالة :

" موافقة ، يا مسهرني "

2014 /10 /10

9. حينما تسمع العين

إجهاد من قطع أيام في الصحراء دون ماء

و يأس من سقط في بئر جاف مستصرخاً دون رجاء

أصوات متقطعة متباعدة مبهمة

نبضات القلب تأتي ثقيلة كدبيب دب كسول

آيادي تعبث بالمعصم و الذراع دون دراية

ما هذا الشعور ؟

أهى النهاية و المسألة في نطاق الإجراءات؟

ليس هناك غياباً عن الوعي لكنها حتماً ليست بيقظة

أحلام مرت طويلة مفسرة و أخرى كفواصل إعلانية

ثم طُرح سؤال :

ماذا لو أفتحت عيني؟

كانت للأجفان آذان خفاش ،

فلم تنتظر نهاية السؤال مبادرة بالفتح البطيء لإستكشاف ما يجري و ما جرى .

ضوء أبيض مبهر أعقبه وضوح لسقف حجرة

لا زال الأمر غريباً

ثم أتبعه ظلام متدرج و هدوء مقلق

ـ حمداً لله على سلامتك

سُمعت و لكنها مفرده ، قد تكون وهم أو جزء من حلم .

الأجفان لا تنتظر و لا تهتم بالعواقب ففتحت رغم ضعفها لترى من قالها

كانت إلتفاتة اليمين أول لقاء بالواقع

طبيب بمعطف أبيض و نظارة صغيرة و إبتسامة لؤلؤية

ـ حمد لله على سلامتك

كأنما أراد أن يؤكد أنه صاحب العبارة المطمئنة

أرادت أن تتحدث لكن فمها عجز عن الكلام

فالحلق جاف و الإيماءة كافية بالرد

ـ ضيفك ينتظر منذ ثلاثة أيام ، لقد تأخرتي عليه .

بُغتت بعبارته لثانيه ما لبثت أن تحولت إلى عين متلفهة لم توقفها إلا يده بإشارة بسيطة

لم تمر ثوان حتى سمعت باب الحجرة يفتح و صوت قد تكون سمعته من قبل .

ـ يا له من ضيف ذوق جاء ليطمئن بنفسه .

حولت عينيها من الطبيب إلى الضيف فإذا بلفافة بيضاء تُحمل بواسطة . .

لا يهم ، اللفافة هى الحياة الآن

إستقرت اللفافة على يمينها

تحول جسدها الراقد إلى عين كبيرة حتى تصورت أن أصابع قدميها تنظر إلى الضيف .

تحسست اللفافة بحذر لتحسن النظر إلى وجه الضيف .

نعم ، إن الضيف سماوياً

لا يوجد ما يربطه بالأرض سوى أنه يشبه أهلها لكنه يبعث بنور مهدى من الخالق .

أصابعه الذائبة كخيوط سبحة و رأسه المغطاه بشعر حريري خفيف و نظراته الإستكشافيه .

ظلت تتأمله دون أن تلحظ عينها الدامعة العاتبة

أأنت من كنت تركلني أينما كنت نائمة أو واقفة؟

أأنت من طرحني في الفراش ؟

ـ لقد تخطينا غيبوبة صغيرة نظراً لضعف الجسم العام و وضع الضيف لم يكن طبيعياً لكنك كنتي قوية و تخطيتي الأزمة .

لم تنصت لحرف من الجملة السابقة على لسان الطبيب

فالضيف بدأ فقرة السعاده بأبسط درجات التحرك

لكن اللحظة التي كانت تنتظرها منذ علمت بوجوده بين أحشائها قد أتت .

أتت و أتت عليها في آن واحد

لقد نظر إليها

نعم ،

كل شيء قد توقف

الزمن و المكان و الإحساس

الكون ينتظر أمر الضيف

لكنه قال في رسالته ما هو آت :

ـنعم أنا الضيف ، كيف حالك ؟

كانت رحلة شاقة في الأيام الأخيرة .

أعتذر عن ركلاتي و تقلب مزاجي في الشهور الماضية .

أعدك بأن أرد الجميل لحملك سخافاتي طوعاً و كرهاً .

سمعت كل هذا من عينيه

تستعد أن تقسم أنها سمعت عيناه و ليس فمه

ثم أردفت عيناه قائلة :

ـ أعتذر ، ميعاد نومي قد جاء ، أراكي لاحقاً

أغمض عيناه دون إنتظار رد لكنها ظلت ناظرة عسى أن يفتحها قريباً .

لكنه إنتزع دمعتها وقلبها بحركة أخيرة رغم عينيه المغلقتين .

أنستها آلام المخاض و ألهمتها صبر السنين القادمة .

إبتسم

2014_10_17

10ـعازفة الكمان

ـ لا بد أن تاتي معنا

ـ سوف تندم إن لم تفعل

كان دوماً كارهاً للفروض و الواجبات محباً للهوى الشخصي و الإستقلال

ليس متمرداً بل متفرداً من أجل شيء جديد

ما هو و كيف هو لا يدري

لم يجد منفذاً من إلحاح الأهل في أن يقضي بضعة أيام مستقبلاً الصيف بإحدى قرى الساحل الشمالي

لكنه دوماً صاحب خطة

لذا قرر أن تكون كالتالي

لن يسهر مستهلكاً نفسه بين الأحاديث المتناثرة و الضحكات البلهاء و متابعة ما سنأكل و أين سنخرج نلتقط الصور .

سيحل ضيفاً خفيفاً .

إستيقظ أول يوم في الخامسة

تسلل بين النائمين متأملاً كيف يغطون في نومهم بينما تضيع عليهم

فرصة عناق الطبيعة

كانت المسافة قصيرة لكنها بدت طويلة للشاطيء

إذن هو سعيد لهذه العجلة

إنه على مقربة من لقاء كوني محبب دون صخب أو زحام

إستقبله الشاطيء إستقبال الجد لحفيده الغائب

و كان للشاطيء حضوراً آمراً كصاحب البيت

فأنت يا رمال كوني حانية، مهمتك الأولى العمل على راحة قدميه و تدليكَهم و لا تكونين سخيفة إن أمرك أن تتركي أي جزء تمسينه

و الهواء ينضبط ليكون ربيعياً دون سماع لرياح قوية أو تشح فيشعر ضيفنا بحرارة الجو

الشمس منيرة متعاهده مع الهواء على حمل الضيف حمل الأمير النائم

أما المياه فأنتِ قائد الفرقة المسؤول عن ضبط الإيقاع إن بدا شيئاً غريباً

إبتسم لمعرفة الخالق ما يريده أكثر من نفسه

و كيف لا و هو من خلق المكر و الحاجة و الإحتياج

ثم بدأ العزف مشياً متبختراً ملامساً للمياه تاركاً آثار قدميه تزول

سريعاً

لم يدري كم من الوقت سار بل ظل يستمع إلى موسيقى الشاطيء في إنصات صوفي يزداد مع الوقت طرباً

قرر أن يجلس في إستراحة موسيقية ضاماً ركبتيه إلى معصمه متأملاً كيف تستعد الفرقة للفقرة التالية

ثم بدأت الفقرة التالية بإرتجال لم يكن محسوباً

تجلى من بعيد ضيف آخر

بدأ الضيق يتسلل لائماً الشاطيء أنه أراد الوقت له وحده دون تدخل فهو يحب الخصوصية

لكن الضيف الآخر دخل عازفاً للكمان ينثر موسيقاه في مهارة ممتنعة التقليد

فتاه فارعة الطول بملابس رياضية داكنة متناسقة لا يبدو منها إلا قدميها الملامستان للرمال و مياه البحر تعدو عدواً خفيفاً مقتربة نحو المكان الذي إستقر به .

زادت التفاصيل فإزداد إعجابه بعازفة الكمان

ساعة رياضية زرقاء و قبعة رياضية تحمل ذات اللون تسلل من خلفها

خصلة شعر مضمومة جعلت منها مهراً أصيلاً يتبختر في ضاحيته .

تجاوزته دون أن تنظر إليه بوجه طويل و نظرة جاده كمن ينجز عملاً قومياً

ثم إستراحت على بعد منه لكنها ظلت على مرمى البصر

ثم كافأته بأن عادت تلك المسافة سائرة لكن دون النظر إليه إلى أن غابت عن بصره .

كاد أن يهب واقفاً ليصفق من شده إعجابه بهذا العزف المنفرد

لكن كيف السبيل لشكر العازفة

و أين هى قنوات التواصل

سحقاً لصانعي التكنولوجيا ، فهم يصنعون أحدث الوسائل للإتصال لكن يعجزون عن إختراع جهاز لنقل الشعور

لكنه لا ينتظر الإختراع ، سيجده بسبب حاجته

إنها مرت في هذا التوقيت ، تؤدي نفس النشاط

إذن محتمل أن تكون هنا غداً ليكن مستعداً

لكن كيف ؟

الرياضة هى القاسم المشترك

ليجهز غداً

و كان على خطته جاهزاً مستعداً

بدأ مبكراً عسى أن تتجلى منيرة يومه

تسلل القلق بوسوسة مقيتة حينما لم تظهر

عاد أدراجه لعل تأتي بعد أن ظل يعدو لمده تقترب من ضعف توقيت اليوم الأول

لم تظهر طيلة اليوم

عاد ناكراً للطبيعة بخلها عليه

لم يتبق إلا يومان ثم يعود للرتابة و الملل

هكذا شعر و أستاء و بدا واضحاً لمن صاحبه في السفر تعكر صفوه

حتى في اليوم الثالث لم يكن محباً لما يفعل

رياضة و نسيم عليل لكن دون الماء العذب

دون رؤيتها و الإرتواء

إلا أن ظهرت أمامه فجأه قبل أن يقرر مغادره الشاطيء بلحظات

لا زال الأمل ممكناً لكن لا يوجد حل

الوقت هضبة تتآكل من تحته و سيهوي في الإحباط دون حراك

ليقفز عسى أن يتشبث ببر أمانها

إرتعد من الفكرة لكنه قال ماذا سيحدث فإنني خاسر في كل الاحوال

إنتظر حتى إنتهت من العدو ثم إقترب بتردد إلا أن لم يعـد ممكنـاً أن يبتعد

بصوت متحشرج بدأ

ـ صباح الخير

نظرت بإستغراب مؤذي – صباح النور؟!

صمت أثقل من هرم خوفو و إزداد بطول وقته قطعته بحده

ـ أهناك شيئاً؟!!

لم يدري من أين أتت جسارة السباع حينما قال

ـ نعم

ثم إبتسم و قال

ـ أشكرك

تركها دون حرف آخر لكنه شعر بأنه فعل أفضل شيء في حياته

كان أفضل يوم في الرحلة إن لم يكن من أفضل أيام حياته

لعب مع الصغار الذين دوماً بغض ضجيجهم و إستمع للآخرين بصبر الأمهات

لكن أيترك عازفة الكمان دون أن ينعم بعزفها بعد ذلك ؟

إذن لا مفر

آخر يوم و آخر فرصة

إن جاءت سيفعلها و إن لم تأت فإن عقابه العيش بالغباء مدى الحياه

لكن القدر كان كريماً أن رآها قادمة بيد أن الأمر يختلف

إنه غريب الطور الذي قال شكراً ثم إختفى

كانت أيسر قليلاً أن يقترب منها و هى تعدو

حاولت تجاوزه لكن لياقته ساندته فظل يعدو محترماً أن تنتهى من عدوها صامتاً بل مستمتعاً حتى و لو إقتربت من السواحل الليبية

لم تطول المده إلى أن إنتهت ثم عادت متمهلة

ـصباح الخير

كان قوياً واثقاً حيث أدرك أنها آخر فرصة فليجعلها لا تنسى

لم ترد عليه فبادرها قائلاً :

ـ لكي تمام الحق ألاترديـن فمن هذا الغريب و ماذا يصنع و كيف يجرؤ ، كل هذا سليماً

لا أعلم إلا الإستنتاج . لم أرى أي بوادر إرتباط ، فلا يوجد من يشاطرك الرياضة أو خاتماً يميناً أو يساراً ، نعم مخاطرة لكنها تستحق العواقب المحتملة

شكري جاء من إمتناني مما فعلتينه

فأنتِ تعزفين لحناً طبيعياً دون أن تدري

و أعلم أني أبدو نصاباً محترفاً فلكي الحق تماماً

لكن ليس من حقك أن تحجري علي إمتناني

كل ما أردته هو شكرك مما رأيت

قد أودع الله بك حسناً إزدان بصونك له رقة و ذوقاً

و أنا عبد البديع المصور فكيف لا أشكر النعمة

تنهد ثم قال

ـ مرة أخيرة أشكرك لما فعلتينه

تنحنح حينما لم يرى تجهم ثم قال ماداً يده في حركة إنتحارية :

ـيحيى

ظلت ترمقه بنظره أجهزت على صبره واضعةً يديها في خصرها دون حراك

ثم لاح شبح إبتسامة أتبعتها بالجائزة الكبرى فاعلة نفس الشيء

ـ نادية

أحمد إبراهيم الإسكندراني

2014ـ10ـ24

11 معرض شركات

صباح يوم معرض للشركات

إستيقظت مبكراً كعادتها ذاهبة للمعرض

تعودت أن تكون مهندسة لكل شيء

فالحجرة خير دليل

إنه معرض للأحذية يرافقه حجرة ملابس فاخرة مع أدراج بها مجوهرات شديدة الرقة بثمن قاصم للظهر

لكن تدرج الألوان يعكس نظام ألماني و دقة يابانية داخل غرفة الملابس

الحمام عيادة معقمة تحمل أركان مختلفة

ركن لكريمات البشرة تصطف بإنتظام طابور الصباح و ركن للأسنان و اللثة و ركن ثالث للصابون بكافة ألوانه

إنتقت سترة آزورية مع قميص أبيض و تنورة زرقاء و حذاء كحلي بكعب عال دون أشرطة

جعلت شعرها ينسدل على كتفيها لكن بحرص كمن تقول لطفلها إذهب للعب لكن كن قريباً من عيني

إستقلت سيارتها الفاخرة الزرقاء اللون أيضاً بزئير محركها الألماني

ذاهبة لمعرض الشركات

فكل شيء يسير على ما يرام لكنها دوماً تفعل الشيء بنفسها و تصر على ذلك

رغم وجود كثير من المساعدين و المساعدات بالمعرض من طاقمها و منسقي المعرض

كانت موجوده قبل الجميع وقت تجهيز اللافتات و الأجهزة و الملصقات و الإعلانات القابلة للطي

لحظت توتر مساعديها من سرعتهم حينما جاءت لكن كل شيء يسير على ما يرام

ألقت كوب قهوتها اليومي من أشهر محل قهوة إستشرى كالمرض في كل مكان

جعلت عينيها ترقب المكان عن كثب

ـ جيد أننا بعدنا عن الشمس، حظه قليل ممثل هذه الشركة سسيكوي بنارها

قالها أحد مساعديها ، فإبتسمت إبتسامة إجتماع مغلق ووجهت نظرها إلى ممثل الشركة الأخرى

لكنها لم تستطع أن تمنع شهقة صغيرة فرت من فمها

هو ؟

الطول الفارع و الحركة النشيطة لكن الوجه لم يتضح

لكنه قام بحركة كانت ختم التوثيق أنه هو

نسي مجموعة ورق على الأرض فلم يضع كل ما بيده ليعود لهما

رجع للوراء خطوة و نزل بجسده ليلتقط الورق بيده الفارغة من وضع القرفصاء دليلاً على رشاقته .

كان دوماً يفعلها بعد كل لقاء تحت شجرة من جديقة الجامعة .

إنه هو

وجهت نظرها توجيه اللواء لمرشد الشرطة

لم يختلف عن يوم أن قررت أن تقطع علاقتها به

لقد حاول بكل طاقته أن يتزن بين الشاعرية و الواقع في علاقتهما

كان فنان المهندسين

حساس رقيق و شهم يساند في آن واحد

لكنها ظنته ليس طموحاً و يريد أن يتمهل

و هى الجواد الجامح الخائف من أي عرقلة مهما بدت جميلة

جاءت على نفسها رغم إدراكها انه يحبها و مستعد لذلك بكل ما أوتي من قوة

رفضته بخشونة كعب البندقية الموجه لأنف مباشرة

لم يتغير كثيراً ، لقد إزدان فوديه بشيب أبيض زادته خبرة و جاذبية

رغم تواضعه كان دوماً جذاباً عن حق لا عن شكل

و إزداد جاذبية

ـنجوى؟ ماذا حدث ؟

إستيقظت على هذا السؤال من إحدى مساعدتها

ردت بعصبيةـ ماذا حدث؟

ـ أبداً، هذه المرة الرابعة أناديكي و أنـتي سـارحة . مكـان الإعـلان مناسب هنا؟

ـ نعم نعم نعم مناسب جداً أحسنتي

ـ أحسنت؟

قالتها مساعدتها لنفسها متعجبة. الماكينة تمتدح؟

ظلت طوال فترة المعرض محتفظة بإبتسـامة بـاردة ليتهـا مـا ألصـقتها بوجهها و عقلها مع صاحب الشركة المنكوي بنار الشمس

رغم مرور الكثيرين من الناس و إعجابهم بالشركة إلا أنها لم تكن هناك

كانت تنكوي بناره

الفضول بفترسها إفتراس البيرانا لقطعة من اللحم الصافي

مر اليوم بطيء و الإنتظار يطول عن توقع وصول نملة لسفح جبل بدأت تنزل من قمته

و لم الإنتظار ؟ سأذهب و أقول سلاماً .

لقد نضجت

إنتظرت حتى السادسة إلا خمس دقائق

بدأ الناس ينصرفوا و العارضون يلملموا الإعلانات و التجهيزات البراقة

ذهبت بقوة خفت ترددها

ـ كيف حالك يا عادل؟

كان موجهاً ظهره إليها : الحمد لله يا فندم

ثم إستدار و قال :

ـ أتمنى أن يكون المعرض قد . . . . .

صمت من البغتة حيث لم يتوقعها و قال

ـ نجوى هانم

ـ ألم تعرفني؟

ـ كنت غير متأكداً لكن الآن تأكدت

ـ لم أعلم أنك تعمل بهذه الشركة ؟

ـ حقاً إني لا أعمل بها، إنها شركتي

ـ شركتك؟ كيف ؟ عفواً أقصد مبروك

ـ الله يبارك في حضرتك . بعد تعثري كموظف مرات عده بـدأت في دراسة إدارة المشاريع و من هناك تعرفت على أحد الزملاء كانت لديه فكره شبيهة بما حلمت به يوم كنت طالباً فوثقنا ببعضنا البعض و الآن نحن نسحوذ على 25٪ من السوق المحلي مع إحتمال إزدهار إن تحسن السوق .

تجاهلت رسميته في الحوار

ـلم تتغير كثيراً

ـولا أنتي

نظرت إليه نظرة كانت تدرك سابقاً أنها كالقاضية له

ـهل تزوجت؟

رد عليها كمن تفادى نظرتها القاضية بمرونة ملاكم مخضرم

ـ إنها تنتظرني بالخارج بعد الإنتهاء من المعرض أود أن أعرفك عليها

ـ كم وددت ذلك و لكني مرتبطة ببعض الأعمال هنا

قالتها و هى تتحمل عصرة القلب و طعنة الجملة الأخيرة حتى أنها شعرت أن الكعب العالي يلاحقها الآن بالآلام .

ـ حسناً هذا هو عنوان شركتي بالكارت و سعيد أنكي بخير

عادت إلى مكانها مسرعة مغتاظة

لم كان لديها أمل رغم أنها تدرك أنها سترفضه

لم تفهم

ثم عادت و قالت لنفسها

مجرد يوم و مضى

عادت إلى سيارتها و ظلت هناك لم تتحرك بها

لم أظل هناك ؟

لم تفهم؟

نعم لا داعي للإنكار

أريد أن أرى من هى

و كان لها ما تمنت و أكثر

إمرأة رشيقة فارعة الطـول ، كـان دومـاً يبـدي إعجابـه بصـاحبات السيقان الطويلة و يتغزل فيهما

كما تغزل دوماً فيها و طولها الفارع

نعم إنها جميلة

إعتراف أنثوي بإنهيار

بل و الأكثر بلة للطين

طفلة لم تتجاوز الثالثة تنزل بجري متخبط من السيارة لتلتقي به

إلتقطها بخفة و دلال لكنها طعنت طعنة أخيرة حينما سمعته يقول بحب أبوي صادق

ـنجوتي الجميلة كيف كان النادي؟

لقد أسماها على إسمها

لقد كان صادقاً

لكن الرشيقة إلتقطته و صبرت عليه .

قاطعها شيء واحد مر من تحت نظارتها الطبية

دمعة بركانية لها صوت

قالت جملة واحده :

نعم أخطأتي

أحمد إبراهيم الإسكندراني

2014_11_7

12 قُرّة العين

يوم غريب

أشياء متنافرة

بين إدراك مبهج و آخر محزن

فنتائجه أظهرت تأهله لبطولة العالم في ألعاب القوى

و نتائجها أظهرت تدهور حالتها

كيف يواجهها؟

ومض هذا السؤال في ذهنه و هو متجه إليها في غرفتها بالمستشفى

وجدها باسمة

فإبتسم

لكنها هى العارفة به

بادرها محاولاً التماسك

ـ لقد تأهلت للنهائيات

ـ قبل النهائيات ، لا تكذب و أنظر إلي

ـ أنا لا أكذب كما تعلمين

ـ تعلم ما قصدت

صمت

لكن مقلتيه إنهارا من ضغط الدمع على بوابة عينيه

رغم ذلك رد بصوت متهدج

ـ سنهزمه

إبتسمت و هى دامعة لكنها نظرت له جاده ماسحة دمعهـا في عصـبية قائلة :

ـ شفائي في فوزك

لم يتكلم بل تصور ما قالت

وجد طاقة غريبة لم يدرك كيف إنبعثت بعد هذه العبارة

طاقة تكاد تطير به من الأرض

كان دائماً يسخر من مشهد رآه في فيلم لملاكم ينتفض و ينتصر من مجرد كلمة قالتها زوجته المريضة .

لكنه في واقع مخيف و لا مفر

تركها محمّلاً بخوف و ثقة و جرأة و ترقب و حيرة و ألم .

ليس لديه خصوم

ألعاب القوى أرقام تقاس بين المتنافسين

لو كان خصماً أمامه في عراك لأكله دون ماء سريعاً

لم يعد هناك مجالاً للوقت

توصل إلى فكرة لم تخطر بباله من قبل و هو الحريص الهادىء دوماً

ذهب إلى أمن المستشفى في مكتبهم بجدية لواء حرب

ـ مساء الخير، زوجتي نزيلتكم. سوف أمر من المضمار الداخلي المحيط بهذا المبنى يومياً لمده شهر. إن منعتموني سأفعلها دوماً. هذه بطاقتي

ترك الأمن دون أن يتبادل حديث

لقد بدأ خطته

لوحظت عليه جدية غير محببة

إنه لا يتدرب بل يعذب نفسه

إستعداده المبكر بعدو في المضمار رغم مضايقات الأمن

يناورهم و يفلت و هم معظمهم بأجساد مكتنزة من الجلوس

و ينتظر حتى الوصول إلى شرفه غرفتها ليرى أمله في الحياه

ثم يرعد بصرخة واحده

ـ إنتصروا

وجد أن جمع الصرخة سينعكس حينما ينصت له جميع المرضى

فهم في حاجة لمن يقدح زناد إرادتهم .

و كانت للصيحة صدى حميد

و بدأت هى تنتظره دامعه مشيرة له بقبضة يدها كلما مر صباحاً بإبتسامة دامعة في مضمار المشفى

بعض المرضى بدأوا ينتظروه بل يتناولوا علاج سبق أن رفضوه

حتى الأمن تعاطف و أدركوا قيمة هذا الفعل و بدأ من يفلت منه الزمام و مؤازرته كلما مر كجواد عربي يصهل بشراسة

وجد أن الفشل سيكون بسببه لا بسبب تفوق الآخرين

جسده هو عدوه إن خانه

عقله فارس ظالم يجلد جسده بكرباج حام كلما حرن عن المسار .

كلما أنّت عضلاته ، تذكر يدها و هى تعتصر ملاءة الفراش من ألمها

فيستعذب الألم حتى يكاد يصاب

الراحة سقطت من قاموسه

الأرقام تطورت حقاً فهو ينتحر كعدّاء لمسافات قصيرة

يتدرب بشكل مهووس

لا يوجد حرص و الهدف قيل في عبارة ليته يجتازها

و جاءت البطولة

إجتاز التصفيات الأولى كصنم موجه

ينتهي من المسافة و يذهب لحقيبته عدوا دون النظر لأحد

إستياء عارم من الإعلام لتجاهله لهم

و جاء اليوم الحاسم

لم ينم إلا ساعة بعد دعاء طويل

ذهب لشيء واحد فقط

حارته التي سيعدو بها

لم يعي كيف أظلمت الدنيا حوله إلا من الحارة التي أمامه

رغم الكاميرات و أنوارها المبهرة لكل صورة

حتى صاحب الرقم القياسي المتغطرس لم يعد موجوداً

ثوان تفصله عن شفائها

أغمض عينيه لثانيه

وجدها أمامه مردده عبارتها .

إستعد و إنطلق السباق

حقاً كمن وضع في الحجرة السرية للهرم الأكبر

صمت طويل ساد الثوان

لم يتذكر إن تنفس أم لا

شعر أن جسده ينصهر حتى تخيل أنه لن يكون موجوداً

ثم داس بقدمه خط النهاية و إندفع برأسه حتى سقط من شده الإندفاع مؤكداً فوزه

لقد فاز على نفسه قبل بطل العالم و حطم الرقم القياسي

كل هذا لا يهم

لم ينتظر المراسم و التقاليد

توقع أن يستقبل إستقبال الفاتحين لكنه تجاوز التهاني المبتورة

ثم وجد طبيبها ينتظره

أدرك ما حدث و أدرك أنه فشل

لم ينهار بل شعر بأنه مات حياً

حتى الدمع بخل عليه أن يغسل روحه

شاركه الطبيب البخل لكنه قال بصوت متحشرج ماداً يده :

ـتركت لك هذه الرسالة

فتح الظرف سريعاً

تشبث بقشة المزاح علها تداعبه بفرارها من المستشفى

لأول مرة يدق قلبه بقوة الإنتظار و التلهف مع أول سطر

أول سطر؟!

الرسالة أسطر قليلة جداً

ـ أعلم أنك ستنتصر . لقد كذبت عليك

حبك أشفاني قبل فوزك

ذهبت مطمئنة أن إبنتنا لديها حبك

حتى في رحيلي جعلتني مطمئنة

أنت قرّة عيني

ظل على حاله حتى رأى إبنتهما بصحبة جدتها حينما عاد للمنزل

أتته بخطوات سنتها الثانية و ضحكتها الآسره

إحتضنها بكل جوارحه و دموعه سيول شتوية

لا يوجد خير منها خلفاً لها

لقرّة العين

2014_11_14

13 قليلٌ من الهواء

غفوة بعد وردية مسائية كئيبة في سبتمبر

كم من المرات إعتادت مواجهة الإهمال و الفوضى و اللامبالاة

لكنها لم تستطع حينما مات المريض أثناء إسعافه

شعرت أنها من قتلته مهما برروا لها

كما رأت نظرات لوم سامة من طبيبات ذوات نفوس لاهثة تنبش في الوجه و الظهر .

لذا قررت الإستسلام و الإستلقاء في غرفة بالطابق الأول غير مجهزة إعتادت أن تستريح فيها كونها خارج الخدمة و تعتبرها خازن لأسرارها .

عيب هذه الغرفة الوحيد أن بابها لا يغلق بقفل فتستعين بقطعة من الورق لإغلاقها . كم من مرة فكرت في الإتيان بقفل و مفتاح لا يحصل عليه إلا هى .

اليوم نسيت من الحزن و الكآبة أن تغلق الباب

فظل شبه مغلق دون إحكام

كرهت أنها نسيت إغلاقه وسط الحزن و الدموع .

لم يحدث لي ذلك؟

إستيقظت على أزيز الباب فوجدته في منتصف الطريق بـين الغلـق و الفتح

سمعت صوت تيار بسيط قد يكون هو السبب

لا تريد أن تقوم ، ليتها أوصدته بإحكام و عُزلت عن الدنيا .

إنها لا تريد أي شيء .

مجرد أن تبقى وحيدة مع دمعها أنيساً و نحيبها رفيقا

لكنها تسائلت، لم اليوم أتناسى الباب؟

ظلت على حالها و منتصف الليل يقترب

ستقوم و تغلق الباب حتى الفجر

لا تريد أن تذهب للمنزل و هى في هذه الحالة من الضعف و الإستسلام لليأس

نعم، ستستقيل و تتجه لعمل آخر فهى غير قادرة على إنقاذ الآخرين حقيقة مؤكده

قامت في تكاسل متجهة إلى الباب لإحكام غلقه مغمضة العينين التي أبت أن تبصر لآخر الليل لكن دون قصد فتحت عينيها لتـتمكن مـن

الغلق فإذا بها تلمح جسد ملقى على الأرض أمام ميدان المستشفى!

لم تصدق عيناها ، مؤكد أن هذا حلم

فالإستقبال على بعد أمتار قليلة من الجثة

و مؤكد الطواريء ستتحرك

أتنتظر يقين ذلك أم تصاب بعدوى اللامبالاة ؟!

لم يكن هناك مجالاً للتفكير ، لقد إستيقظ اللاوعي معلناً سيطرته الكاملة على الموقف .

في ثوان قليلة، طارت كالفراشة لتقف بجانب الجثة التي تبنين أنها لرجل

دفعته برفق لتتأكد من أنه لا زال حياً

رصدت توقف لعضلة القلب أعقبته بإسعافات أولية لتنشيط القلب غير مجدية .

لم تنتظر مساعده

جذبت الرجل من ساقيه و لم تدري كيف بدت كفراشة تدفع جسد لقط شيرازي ثقيل

لكنها نجحت و أوصلته لأقرب الآسرة

ما حدث بعد ذلك هو ما كان مثار العجب

كان سلوكها أشبه بخرق العادات البالية و ثورة على أخلاقيات الفوضى

لم تكن تنتظر الأمن أو التمريض للمساعده .

كانت تأمر صاحية دون إنتظار رد

إما الرد أو التحرك المباشر

ذهبت إلى إثنين من التمريض صارخة فيهما أن يستعدا بالصدمات الكهربائية

بالتوازي ذهبت لمخزن المستشفى لتحصل على حقنة أدرينالين أدركت أنها لن تتواجد في مكانها المخصص بعد المساء المشؤوم

إقتحمت باب المخزن كقائد قوات خاصة

لم تلقي بالاً بالمفاتيح فهشمت الزجاج لتحصل على ما تريد متناسية صياح الأمن و الممرضات الرافضات لمثل هذا السلوك الفاضح لتخاذلهم .

عادت للممرضان آمرة إياهم أن يقوما بأول محاولة بالصدمات

صاحيةً كرئيس أركان

ـالآن!

إنتفض الجسد من آثر الصدمة لكن القلب لم يستجب

أعقبته بالثانية و لم يستجب

لم تجد بداً من آخر محاولة بعد حقنه بالأدرينالين

لم تعي بعد ذلك أنها أمرت بالمحاولـة الأخـيرة و هـى بجانـب رأس الرجل صارخة فيه صرخة أيقظت المستشفى بأسرها حتى أن وجهها الوردي الجميل تحول إلى الزرقة من شدة الصرخة و عروقهـا النـافرة بدت كمن تعرض لتجمد قطبي

ـإستيقظ !

فإستجاب القدر و سمعت صوت أول نبضة تم رصدها على شاشـة الجهاز كطفل يخرج من رحم أمه معلناً ميلاد يوم جديد في حيـاة هـذا الرجل

هكذا بدا المشهد

كانت المستشفى كلها خلفها حينما إلتفتت إليهم

إلتفاتة مايسترو إنتهـى مـن مقطوعـة إرتجاليـة خارجـة عـن السـياق الكلاسيكي معلنة ميلاد قيادة ذات روح

نظرة تحمل الكثير

الكل يراها حسبما يفسرها

فالمتخاذل رآها لاسعة كالكرباج

واللائمات صفعن على وجوههن

بينما المؤيدون وجدوها تحتضنهم بأعينها

من ممرضات و أطباء و طبيبات

نظرة تشد من الأزر و تشحذ الهمم و تناصر الإرادة

تقدمت إحداهن ببعض المطهرات و الرباط الضاغط

كانت يدها اليمنى تنزف بعد كسرها لزجاج المخـزن و لم تـدرك إلا حينما أمسكت يدها .

تابعت إجراءات ما بعد الإنقاذ دون قلق من تحقيق أو إتهام

لم يهمها من هو الرجل أو لم كان كذلك و ماذا سيحدث

الأهم أنها أنقذته

بعد مرور فترة قليلة جاءتها إحدى الطبيبات تبتسم في خبث

ـلقد جاء إبن المريض الذي أنقذتيه و يريد أن يشكرك

ـدعيه يدخل

لم تكترث بنظرتها الخبيثة لكن الطبيبة ما لبثت أن عادت مؤكدة بتدخل سخيف

ـأصابعه العشر خالية من أي معدن

لا بد أن ترد عليها حق الرد

ـإغربي عن و جهي أيتها اللبؤة ، فإني . .

قاطعها صوت طرق الباب

ـأدخل؟

ثم دخل إبن المريض

ـعفواً أردت أن أري الطبيبة التي أنقذت والدي بالأمس

كانت حقاً في موقف أعجب من العجب

تنحنحت الطبيبة الأخرى

ـعن إذنكم

ثم نظرت إليها من خلف الشاب نظرات شهوانية مضحكة معلنة إستسلامها لجاذبيته .

لم ترد أن تنظر إليه كثيراً فهو حقاً جذاب

طول فارع مع نظرة أباظية و جسد رياضي ممشوق مكتسي بجينز أزرق و قميص أبيض بأكمام طويلة شمر عنهما كاشفان لعضدين محببان للإناث و إبتسامة ممتنة لما حدث

بإختصار

نموذج

بادرها قائلاً:

ـلا يوجد ما يكفيكي شكراً لكن لدي سؤال واحد . ماذا حدث؟

رغم خصلة شعرها التي طالما جعلتها تبدو كمهرة صغيرة تتدلل في خفة فوق المعطف الأبيض و سماعاتها التي بدت كلجام جميل لمهر يلهو إلا أنها حاولت أن تكون جادة في ردها عليه رد دون تفكير

ـقد كرهت شيئاً عساه كان خيراً

ـمعذرة ، لست أفهم

ـقليل من الهواء

ـإنكي تقولين ألغاز

ـصدقني هذا ما حدث ، لولا قليل من الهواء دفع الباب لأذهب كارهة و أنا أغلقه لم نظرت تلك النظرة على والد حضرتك .

ـأحب أن أفهم

وجدت أدبه يزيد من جاذبيته

كم يُعشق الرجل ذوقاً

لكن الحق يقال، صديقتها المشتاقة كانت على حق

النموذج يتسائل و عليها الإجابة

ـمعذرة نسيت أن أقدم نفسي ، إسمي جمال

ـإسماً و شكلاً

قالتها سراً طبعاً

ـو حضرتك د. خديجة . أصبحتي إسماً على مسمى

تنحنحت في خجل مرصود زانها تورداً ثم أتبعت

ـحقاً جائتني الرسالة القدرية بقليل من الهواء و إليك التفاصيل

2014ـ11ـ21

14-السادة الأتباع-

كم تبقى لديّ من مال؟

سؤال مُربك طنّان لم يبرح ذهن شاكر حمّاد

رغم بلوغه خمسين عاماً و نيف و إعتلائه منصب مدير إدارة العمليات بشركة ماجنيفيسنت العالميه ، إلا أنّه لا يزال يشعر بنفس الشعور الذي يكاد يقترب من أن يكون مرضاً مزمناً قد إكتشفه هو بذاته

اللهاث الذهني

فمهما نجح أو تفوق أو كسب أو حتى إستراح

يظل اللهاث رفيقاً له رِفقة العرق للجسد الساخن

بيد أن ما زاد من لهاثه لاحقاً هو القرارات الإقتصادية الجديده و الإرتفاع المذهل للأسعار متذرعةً بإرتفاع قيمة الدولار أمام الجنيه المصري

و زيادة أسعار الجامعه بصورة فلكية

كم سخر من تلك المنشأة التعليميه التي نهبت أمواله في سبيل إيهامه هو و زوجته أن إبنهما الوحيد "شهاب" سوف يكون واحداً من قادة

هذا العالم الإفتراضي

و تزداد المفارقة كلما أغدق على " شهاب "

إمّا بالمال أو باللين مُظهراً رحمة زائدة

فشهاب طفل وحيد جاء بعد عناء الصبر والإنتظار و التمنّي

فكلما إقترب منه حسّاً أو مادةً، إزداد " شهاب " نفوراً و بديا كلاهما كقطبين متشابهين

فكيف يقترب كلما إبتعد وحيده؟!

عجباً للتناقضات!

ماذا فعل ليلقى هذا الجفاء ؟

لم يمهله كلاً من زوجته و شهاب وقت كاف للتدبر ولو بلحظه مختطفة من السكون و التروي

كُتب عليك اللهاث يا شاكر

بادرته زوجته بصوت بطانته شكوى :

ماذا فعلت؟

سوف أصل إلى حل

تدخل شهاب بلغة تعوّد عليها

لغة مخنّثة فهى ليست بالعربية ولا بالإنجليزيه ، تبدأ بالإنجليزيه و تنتصف بالعربيه ثم تنتهي بالإنجليزيه مثل الساندويتش :

أتدري كيف يكون وضعي إن لم تُسدد ما عليك؟!

غادر الغرفه بعصبيه بعدما نزع طوق ذيل الحصان المطاطي عن شعره معبراً عن سخطه .

لم يحزن شاكر من لغه وليده قدرما حزن من أسلوبه

تبعت زوجة شاكر إبنها للخارج تاركة زوجها غائصاً في وحلته الفكريه

ما فائده التعليم الباهظ إن أنتج لي إبناً عاق؟

سؤال مخيف يتسلل من وراءه أسئلة و دلالات أسوأ

لقد إهتم كلاً من شاكر و زوجته منذ البدء بالشكل و المضمون

فهل أفسد الإطار جودة الصوره ؟!

ليس هناك من حل بقبوعه بالمنزل

و نفخ دخان السجائر كالتنين المصفّد

لم يدري كيف وصل للشارع الموازي للمنزل بعد ربع ساعه

كثرة الأفكار و تداخلها جعلوا من عينيه عصا للكفيف دون إدراك أو

تنبه

تداعت الأشتات بلا نظم

حتى وجد نفسه أمام أقرب مركز تجاري من منتجعه السكني الفاخر

لم يرد الصخب

فساقته قدميه لفرع المكتبه المرموقه "شمس" بداخل المركز التجاري

تساءل: ماذا سأخسر إن جلست ساكناً بين رائحة الكتب و القهوه؟ لا شيء . .

تأمل المارين من حوله في المكتبه و الجالسين بجانبه

منهم الراشدون يطالعون كتبهم أو الطلبه يدونون ملاحظاتهم

مر بجانبه رجل في أوائل الخمسينات

تعاطف معه لسنه القريب

بدت على الرجل سمات الثراء

من ملبس زاهي و مفتاح سياره حديثه و حذاء رياضي باهظ الثمن

تتذيله أسره مكوّنه من زوجه و ثلاث أبناء بين الخامسة عشر و العشر سنوات و دون العامان

هام شاكر ببصره قليلاً في مشكلته الماليه و الأكبر العائليه

حتى قاطع هيمانه نعيق غُرابي عالٍ غليظ يستفهم بسوقيه :

هل من اللازم شراء كتب كي نشرب شيء ما أم كيف تعاملون زبائنكم؟!

تطلع وسط صفو الهدوء لكتلة الروث التي أُلقيت على مسامعه .

دُهش من صاحب الصوت و هو الرجل ذو الخمسون عاماً ببهائه و لمعانه و أسلوبه البغيض الذي قوبل بتعامل هاديء من أحد موظفي المكتبه

لم تنفع الرجل وجاهته أو ملابسه أو حتى نمط إنفاقه

إشترى أشياء أقسم شاكر أنها لن تُستعمل و كُتب سيعلوا أغلفتها الغبار بلا حتى تصفح

محاولة منقوصه لإلباس الجهل ثوب التحضر

حتى و إن إبتسم الموظفون في وجهه لما إبتاعه من أثمن الأشياء سواء كانت كُتباً أم مقتنيات تافهة باهظة السعر

سيظل يشعر بعطش المرتوي من مياه البحر

تذكر كيف أن حاله يتشابه مع الفظ الخمسيني

بيد أنّه لديه العقل لا الفعل إلا أن النتيجه واحده

لهاث لما يلمع بلا تمحيص

حاول أن يعود لهدوئه و شروده و لو لقليل من الوقت

فشرد قليلاً بينما جعل يحتسي قهوته

إستفاق على إشاره

أشار بها رجلاً دونه بخمس سنوات على الأكثر

متواضع الثياب و الحال

حذاؤه يعلوه الغبار من كثره السير فيما بدا

لكن لمن يشير بيده؟

إلتفت فوجدها فتاه خمرية صغيره في زي مدرسي

قطعاً إبنته من لون بشرتهما و ملامح الوجهين

و ذيل حصان عفيف المظهر

ادها زينةً و بهاءً

ذكّره بذيل حصان شهاب

شتّان الفارق بين مهرة وديعه و فحل يرفس من يقترب من ظهره حتى يُسقطه

لمحت الفتاه إشاره أبيها فأتته مسرعه كراقصه باليه

تعمد أن يسترق السمع لما سوف يقوله لها و هو ممسكاً بكتاب في يده

وجده يهمس لها قائلاً في صوت يبوح بسر :

هذا هو الكتاب الذي حدثتك عنه لنجيب محفوظ ضمن كتاباته عن مصر الفرعونيه . " رادوبيس " ، تلك المرأة التي أحبها قائد الجيش حور محب آنذاك .

لم ينشغل عقل شاكر بتفاصيل الحديث أو الروايه قدر ما إنشغل بأسلوب الرجل و همسه لمهرته الصغيره

عقد المقارنه السريعه

فرأى غنى إنساني أدباً و سلوكاً و توجيهاً

أمام فقر وجداني و ثقافي و حضاري

ليس حُكماً ظاهرياً

لكن كلاهما قررا أن يتباينا فعلاً في نفس المكان

فكل قرار به قدر شخصي قبل أن يكون تصرفاً إما صائباً أو طائشاً

ودّعت عينيه الأب البسيط محتضنه بدفء كريمته الرقيقه

أدرك ما بخل به على شهاب منذ وقت طويل

ليس مالاً و لا حناناً

بل الإحساس بسياق الحياه و قيمة مفرداتها المتعدده المتناثره

من متناقضات و متشابهات

بما يسقط دون قطف و ما لا يُحصد بعد كبد

وجد ذهنه يتقّد تركيزاً

أراد أن يشحذ القرار وجدانياً

إقترب من منطقه الدفء التي إنقطع عنها طويلاً

شارع طوسون بمسقط رأسه شبرا

لم تنقطع رائحه المخبز الفوّاحه رغم تغير الأوجه و زياده الزحام

و دكان البقالة التي تزن بضاعته الشبراويه بميزان الذهب من جودتها

أرجعته الروائح و المناظر صبياً في ثوان

يلعب ، يلهو ، يضحك ، يُحب ، يبكي

يحيا

تنفس الأيام و زفر الذكريات المُدمعه

إغتسل الوجدان و تطهر من وعثاء السنين

تبلورت الفكره أثناء عودته

ثم تمخضت قراراً

نفذه صباح اليوم التالي

قد آن الأوان أن ترتخي آياديه قليلاً عن الدفّه

فهناك آيادٍ أخرى

في أمسّ الحاجه لنصيبها من خشونه الدنيا

خير دليل يُسترشد بها لبر الأمان

تخيل أن التنفيذ سيطول لأكثر من أسبوع أو أكثر

لم يمر أكثر من ثماني و أربعين ساعه حتى تم كل شيء

تفادى فيهما التلاقي بأيّاً من أفراد عائلته متذرعاً بالصمت و الرغبه في عدم التحدث

ثم آن الأوان بعد أن قُضي الأمر

جلس على مائده الطعام الواسعه

بدت موحشه

حتى أتى شهاب ملتصق النظر بهاتفه دون النظر لوالده أو والدته

صمت بغيض يُكسر بطقطقه صحن أو ملعقه

حتى أتت رساله بهاتف شهاب

تنبه لها شاكر

إلا أنّه أظهر تجاهلاً مبالغاً فيه

كيف؟!

سؤال منزعج صدر عن شهاب

تنبهت والدته "دون أبيه عن عمد" سائله:

ماذا هنالك؟

مؤكد خطأ!

أجبني دون إستنتاج

رساله من البنك بتحويل مبلغ مائة ألف جنيه لحسابي!

باغته شاكر ناظراً في صحنه:

تجاهلت صفراً

ماذا تعني؟

أنت تدري ما معنى صفراً بجانب خمس من أشقائه

مليوناً ؟! من أين ؟

منك أنت .

كيف ؟!

قد بيعت شقتك

لمن؟

لمُشترٍ؟

دون علمي ؟! والثمن؟

تعليمك

كيف ذلك ؟

إخترقت زوجة شاكر الحديث متوتره ممسكه رأسها :

إجعله يا رب مزاحاً سخيفاً، كيف يتسنى لنا شراء عقار آخر مثل ذاك الذي وضعنا به كل مدخراتنا؟

أردف شاكر معقباً بجزم :

بل كيف يتسنى "له" لا لنا .

ثم وجّه كلامه نحو شهاب بنظرات نافذه مشدداً :

إنها من الآن نقودك و تحت تصرفك أنت . وارد أن تربو أو تُنفق فيما لا يُغنيك . و وارد ألا تُبقي منها مليماً . لكـن المؤكـد أنهـا تكفيـك لتتعلم ما شئت .

ثم قام من مجلسه مُكمّلاً حديثه :

أعلم أنّه لن يروق لك كلامي المُر ، تلك سمة الدواء الشافي . بإمكانك أن تشتري عقاراً آخر فالمجمعات السكنيه لن تنتهي أو أن تهاجر كلما جاءت السيره و تشدقت بها .

أجاد شهاب لعب دور الضحيه لائماً :

ما ذنبي في تحمل قرارات خاطئه؟!

دمعت والدته بينما تجاوز شاكر الإهانه برصانه متمماً :

أردت لك السياده لا التبعيه .

و لم ينتظر فإستطرد :

ـ سيادتك في علمك و هو حقُك عليّ أما تبعيتك فتبدأ من إمتلاكـك الزائف لأشياء زائلة لم تصنعها بل جاءتك جاهزه متصوراً حاجتـك لها منذ زمن .

تنهد شاكر تنهيده المُجهد ثم قال :

علمك هو سيادتك و تلك الزوائل ما هى إلا أطواق ذهبيه ثقيله ، أما و إن أردت أن تكون من الساده الأتباع و هم كُثُر فحرر أصفادك مـن البنك و طوّق بهم عنقك . و وعد مني ألّا أعيقك

تركهم شاكر راضي الضمير واجمين الأوجه

تولدت لحظات سريعه من الشك في قراره غير أنه تغلب عليها بهدوء

تساءل :

أيشقى شهاب ليكون سيّداً أم يستيسر و يبتاع طوق التابعين؟

2017_10_27

15 الزاوية الواحده

إشارة مرور متكدّسة

رجل في مقتبل الأربعينات يقود سيارة إيطالية الصنع قديمة الطراز شارداً في حياته .

كيف يكون بهذا الحال رغم تفانيه في العمل و الكدّ من أجل مستقبل أفضل .

لا يزال مكبّلاً بديون و أقساط تُثقل من سعيه للإنطلاق و هو الطموح الجامح .

لم يقطع شروده إلا لفتة يسارية لسيارة ألمانية سوداء حديثة الطراز تتألق قوةً . بدت كعارضة أزياء باهرة الجمال تعرض فستان أسود كاشف للمفاتن .

لمح بداخلها رجل في مطلع السبعينات بشعر أبيض كلاسيكي زاد من تباين المشهد ككل و نظارة طبية رقيقة تعكس صفوة الذوق .

تقدم الكلاسيكي قليلاً بسيارته مما دفع الطموح أن يتقدم ليرى وجهه كيف يبدوا دون أن يدري لم أراد ذلك .

لعله أراد أن يتأكد من أن الكلاسيكي يتنعّم كونه يقتني شيئاً ثميناً .

لحقه الطموح بسيارته قاصداً أن يتأكد من ملامح الكلاسيكي دون أن يغفل عنه لثانية .

كانت تلك الثانية كافية ليصدم السيارة صدمة خفيفة أثناء نظره يساراً .

إلتفت سريعاً لما صدمه منزعجاً فإذا برجل قد حط قدمه من أوتوبيس نقل عام طافح بالركاب يحمل بيده حقيبه صغيرة .

توقّع السباب الروتيني

لكن الغريب أن الرجل نظر إليه كأنه إصطدم بمكتب في رواق شركة .

تفرّس في ملامحه

بسيط الملبس و السلوك

يبدو في أواخر الخمسينات

أشار البسيط الخمسيني بيده معتذراً كأن شيئاً لم يكن

معتذراً ؟!!

إنها غلطة الطموح رغم ذلك إعتذر المتضرر .

تنهد لمرور الموقف دون عواقب أو سخافات

صحب التنهد إنفراجة الطريق و مرور السيارات منهياً آخر يوم عمل في الإسبوع .

كان الموقف عادياً لكنه ترك في نفس الطموح الحاجة للهدوء و إن كان قليلاً .

لاحظت زوجة الطموح هدوءه حينما عاد للمنزل .

طلبت منه على إستحياء أن يرافقها غداً لزيارة واجب .

تُدرك أنه يمقت هذه الأشياء و يفعلها عن بغض .

لكنه وافق في لحظه هدوئه و تم المراد .

في صباح اليوم التالي مرت الأمور هادئة .

سكينة الجمعة قبل و بعد توقيت الصلاة .

لكن الأمر إختلف في الزيارة .

علِم خلال الطريق أن الزيارة لشخص كان زوج مديرتها السابقة التي توفيت منذ ستة أشهر و لم يصاحبها في العزاء . كانت ليلة لا تنسى كونها إنتهت بمشاحنة عكّرت صفو البيت .

وصل الطموح و زوجته في الميعاد المناسب للزيارة .

تأمل المكان و الحي الراقي و . . . .

يا لفكر إبن آدم

لا يفكر إلا فيما يحب أن يفكر فيه

لمح سيارة سوداء أمام المنزل تُشبه مثيلتها بالأمس لوناً و طرازاً لكنها ليست هى .

إنتظرا على الباب قليلاً إلى أن فتح لهما زوج المديرة المتوفاة .

ـ أهلاً و سهلاً

إبتسامة لؤلؤية و ترحيب كلاسيكي

كلاسيكي؟

لا ليس هو

ـ تفضلا

إلتفت زوج المديرة مُرحباً و كانت هى الإلتفاتة

نعم إنه الكلاسيكي

أدركه حينما رأى نصف وجهه و نظارته .

إذن هى نفس سيارة الأمس

ـ كيف حال حضرتك ؟

قالتها زوجته للكلاسيكي الذي عقب بهدوء :

ـ الحمد لله . . الحمد لله

تخلل الحوار الأسئلة الإعتيادية للتعارف بين العمل و الفارق بين الأمس و اليوم

المواقف الطريفة كتوابل للجلسة

الكلاسيكي يعزف حينما يروي الكلاسيكي فهو صاحب خبرة حياتية ذات عمق بدت في إدارة الحوار .

لكن عزفه ينسال منه مسحة حزن تبدوا في عينيه و صوته كلما ذكرت سيرتها

لكنه ليس كئيباً ، بشوشاً متورد الوجه متواضعاً مضيافاً .

قطع الحديث جرس الباب لكنه لم يفتح بل مربيّة المنزل العجوز .

ـ مساء الخير

قالها الدالف إلى المنزل حينما وصل إلى زوج المديرة الذي مازحه قائلاً :

ـ لم لا تنساني جمعة واحده ، فلتأتي و تستريح دون حقني

إبتسم الرجل وأشار بيده معتذراً

أشار بيده ؟!

معتذرا؟!

ليس للدرجة أن يجتمع ثلاثة في أقل من يوم

البسيط و الطموح و الكلاسيكي

ـ نستأذن نحن

قالتها زوجة الطموح محاولة إنهاء الزيارة بلطف رغم إلحاح الكلاسيكي على البقاء و الغذاء لكنها فضلت الإنصراف على وعد بزيارات لاحقة حيث الحوارات مؤنسة و عذبة .

ظل الطموح على إندهاشه حتى ركبا السيارة .

توقعت أن يُعجّل بالإنصراف لكنه ظل صامتاً إلى أن قاطعته

ـ لم لا نتحرك ؟!

ـ أنتظر شيئاً

ـ تنتظر ماذا

ـ الزائر الأخير

ـ لم ؟

ـ لاحقاً ستعرفين

ـ أعرف ماذا هل تعرفه؟

ـ نعم

ـ كيف؟

ـ لاحقاً

إستغربته كونها تعلم أن ليس من عادته الصبر طويلاً لكنها فضلت الصمت .

دقائق معدودة مالبث أن ظهر البسيط مغادراً منزل الكلاسيكي .

تحرك الطموح بسيارته إلى أن وصل للبسيط مبادراً

ـ إلى أين تتجه حضرتك؟

رد البسيط باسماً :

ـ مكاني ليس ببعيد

ـ إطلاقاً تفضل

إتفقا على أن يوصلا زوجة الطموح أولاً رغم محاولات البسيط المضنية أن يثنيه عن ذلك مع ضرب زوجة الطموح أخماس في أسداس سراً على تصرفات زوجها المريبة .

لاحظ البسيط أن زوجة الطموح صفعت باب السيارة عند وصولها للمنزل إستياءً من عدم الفهم و أدركها بخبرة الإحساس المتراكمة .

تبدل الحال بعد أن جلس بجوار الطموح الذي تردد كثيراً أن يفصح عن نفسه خلال إيصاله له إلى أن بادر الطموح :

ـ لا داعي للحساسية، الناس لبعضها

ـ أكرمك الله على تعبك

ـ لاحظت أن حضرتك تمتاز بالهدوء

ـ كيف لاحظت؟

خشي أن يربط بما حدث أمس

ـ أعني طريقة الكلام

ـ الهدوء هو السمة المشتركة بيني و بين مصطفى بك لذا أنا أحرص على زيارته قبل أن يكون السبب هو ميعاد الحقنة فهو حلو المعشر و متواضع منذ عرفته من سنين طوال حينما كنت متزوج .

لمح في عينه دمعة لكنه لم يقف عندها و حاول تجاوزها لكن البسيط تابع

ـ الناس لا ترى إلا من زاوية واحده . زاوية الإحتياج لما ينقصهم دون النظر عن عمد أو غير عمد لما يمتلكونه . مصطفى بك غني بأخلاقه و كرمه لا بماله لكن أغلب الناس تنظر إليه كثري يملك الدنيا و هو يشتاق لزوجته التي كانت كل دنياه . لذا تعودت أن أنظر على جميع

الزوايا و ليس زاوية إحتياجي فقط .

ـ لكنك تحتاج و تشتاق لما تفقده . أليس كذلك؟

ـ قطعاً، فأنا إنسان لكني تمرست على عـدم النظـر بزاويـة واحـده . صدقني يا بني . طالما تستطيع أن تتنفس و تحب و تتحرك و تختار فلا خوف من قادم و الأهم أن تؤمن بنفسك و بالله .

شعر الطموح أنه حبه رمل أمام جبل هائل إلى أن قال البسيط منهياً :

ـ عليك أن تنظر لجميع زوايا حياتك و ليس لزاوية إحتياجك فقط .

ـ صدقت حضرتك

ثم إبتسم البسيط بخبث و قال :

ـ كما عليك أن تنظر أمامك حتى و لو كانت السيارة فارهة .

صفعة أبوية محرجة حاول الطموح أن يبرر موقفه لكن البسيط قـاطع تفكيره قائلاً :

ـ سأنزل هنا ، تعبت حضرتك و أثقلت عليك

ـ لقد تشرفت حقاً بمعرفة حضرتك

ـ الشرف لي

نزل البسيط من السيارة شارحاً كيف يعود الطموح أدراجه ثـم حيّـاه

لكن الطموح تلهف قائلاً :

ـ معذرة لم أتشرف بإسم حضرتك

إبتسم البسيط و قال :

ـ رضا

2014_11_28

16 شيخ الدير

حيث كان التواصل وجداني

في زمن لم يكن به تواصل إجتماعي عبر الأجهزة ، حدثت تلك الرواية .

دير عتيق بالواحات البحرية بدا غير مأهولاً

إثنان من الرحالة قد ذهبا في رحلة بحث عن راهب كثرت عنه الأقاويل

حامت حول إختفائه شكوك كثر من أنه قد قتل

قررا التنقيب عن أثر إختفائه .

قطعا أشواطاً طويلة داخل الصحراء

لم يعد هناك إلا هذا الدير في مدخل الواحة

تُرى ، هل يحمل إجابات أم يزيد من تساؤلاتهم عن الراهب؟

فتحا باب الدير بسهولة حيث تآكل رتاجه

صليب يعلو بناء الدير و فناء صغير قبل مدخل البناء

ظلا يتأملا سقف الدير المستدير من نحت لحروف قبطية و رسم للعذراء تحمل المسيح صغيراً و آخر للقديس مرقس

كل شيء يبدوا طبيعياً إلى أن إقتربا من غرفة مغلقة ظنا أنها غرفة الراهب

تعنّت الباب قليلاً حتى فُتح

صليب معلق على الجدار

كتب كثيرة إصفرّ لونها من الزمن

فراش بسيط و منضده يعلوها كتاب و مسبحة

مؤكد أنه الكتاب المقدس و مسبحة الراهب

هكذا تمتم أحد الرحالة في سره

إلى أن وقعت عيناه على غلاف الكتاب

مسح التراب المتراكم بيده ثم قرأ :

القرآن الكريم؟!!

كتاب المسلمون؟

هل درس الراهب الإسلام؟

أم كان يقارن الأديان؟

أم كان مسلماً؟!

الراهب مسلماً ؟!

ما هذا الشطط؟

قد تجيب المسبحة

لم تجيب حيث لم تنتهي بصليب

ما هذه الحيرة ؟

دير به قرآن ؟

ماذا عن باقي الكتب؟

ظلا ينقبان في الكتب عما يدل

وجدا كتباً شتّى

الأغلبية كانت لكتب قبطية

لكن الغريب أنهما وجدا عدداً من الكتب ليس بالقليل تتحدث عن تفسير القرآن و الأحاديث

قررا أن يستريحا قليلاً ثم يدخلا الواحة عل و عسى أن يدركا إجابة لحيرتهما المتزايدة .

لم يستطعان أن ينتظرا كثيرا

فالموضوع مبهم و يزداد ضبابية بمرور الوقت

شرعا يدخلان سوق الواحة

صارا يسألا الناس على إستحياء عن الواحة و طبيعتها و يقحما أسئلة مشتتة عن الدير

حتى وصلا إلى أحد المحال يُعصَر فيه العنب

شكرا عاصر العنب و بادراه سائلين

ـ منذ متى و أنت تمتهن هذه المهنه؟

ـ منذ أن كنت صغيراً بالدير

ـ أي دير ؟

ـ دير الواحة القديم

رمقا الرحالة بعضهما البعض

ـ هل نشأت هناك؟

ـ منذ أن كنت في العاشرة . قبل ذلك كنت أعيش مع والدي .

تنحنح احدهم ثم سأل :

ـ ما إسمك؟

ـ إسمي بطرس

ـ كيف كان آخر راهب لهذا الدير؟

تعجب بطرس من السؤال ثم أردف :

ـآخر راهب ؟شأنه شأن الآخرين من ساكني الأديرة

ـ سمعنا أنه قُتل

ـلم يحدث

ـ و كيف لك ان تكون متأكداً؟

ـ الشيخ لم يُقتل

ـالشيخ؟! نحن نتحدث عن الراهب

ـأعلم ذلك لكنني أقول لك الحقيقة

ـ أتقصد أنه لم يكن راهباً ؟

رد بطرس قبل أن يكمل أحد الرحالة جملته :

ـ نعم لم يكن الشيخ راهباً بل كان مثلما يقول القرآن حنيفاً مسلماً .

لم يحتمل احد الرحالة كم الفيض من حيرته فسأل بخشونة

ـ ما دينك يا بطرس؟

إبتسم بطرس من سطحية السؤال و زادت إبتسامته من سـطحيته ثـم

مال ناحية الرحال السائل :

ردي لن يدخلني الفردوس و معرفتك لن تجنبي النار

ثم تنهد قائلاً :

حينما وصلت للدير كنت صغيراً كما قلت لكما لكن مدرك لما يدور حولي بعد رحيل والدتي صغيراً لاحقة بأبي .

رأيت كيف كان الشيخ جميلاً أو كما يقـول الإنجيـل واصـفاً المسـيح " يجول يصنع خيراً و يشفي كل مرض و ضعف في الشعب "

كان دوماً باسم الثغر متعاون يتفاني كأقدم خادم في الدير

هو من علمني أبجديات الحياه من حسن معاملة الناس حتى العمل في عصر العنب

ـ لكن كيف ظل في الدير كونه مسلماً؟ . بل كيف سمح له بأن يبقى كأنه راهباً ؟

ـ كنا جميعاً لا نسأل عن هذا الموضوع بإعتباره من المسلّمات

لكن يوماً كنت قد قلقت عليه في أيامه الأخيرة قبل أن يـذهب مـن الدير و تهب عليه عاصفة الرمل

سمعته بجانب الغرفة يهمهم بكلمات لم تحمل جرس قبطي لأذناي مما

أقدح زناد فضولي فظللت أُنصت من الباب الموارب حيث لم يكن محكم الغلق .

تذكر الرحالة حينها أن باب الغرفه كان موصداً بشده عكس باب الدير ذاته .

ثم أكمل بطرس

ـ يومها أدركت بعد ان كشفت وجودي يمامة شاردة جعلته يراني فهتف بي كي أدخل و كنت في الخامسة عشر حينها .

ماذا قال لك

ـ قال لي : إئتمنتك على سر حياتي . أنا مطارد من الحقد و الكراهية .

أريد سلاماً لما تبقى لي من حياتي

لهذا السبب جئت هنا حيث أوصلني الله . لم أحتمي إلا بهذا الدير من الثأر و الجهل و الخوف كما تربينا مع أبانا دانيال .

طفح كيل الرحال الأول :

ـكفى هراءً ، هناك كاهن آخر؟ ما هذا العبث . لا يمكن أن تمتزج الدنيا بهذا الشكل؟

صب بطرس كأساً اخيرة للرحالة و قال له :

ـ عزيزي الشاب . أبانا دانيال كان سبباً لهذا السلوك . لقد أوى شيخ الدير حينما كان شاباً و أدرك أنه مطارد و صدقه و آمنه . إلا أنه رفض أن يكون مبشّراً له فجعله يعيش معه بإرادته داخل الدير شأنه شأن الآخرين إلا أن شيخ الدير رد الجميل بعد ذلك حينما ذهبت إليه طفلاً معدوماً لم يجبرني أن أتعلم دين بعينه حيث كنت قد أتممت عامي العاشر لكنه ظل على إنسانيته و محبته مدركاً أني تعلمت مباديء الدين من أمي حتى يوم أن رحل .

سأل الرحال الآخر :

ـ و كيف كانت فلسفته في جعلك قبطياً دون أن يلزمك أو يعلمك دينه؟

أجاب بطرس بوقار و إمتنان :

ـ قال لي شيخي : لا يهم إن كان قاموسك إنجيل أو قرآن . الأهم أن تترجم من القاموس .

وضع بطرس القارورة المعبأة بالعنب على الطاولة محدثة صوتاً كأنه ينهي الحديث بعد جملته الأخيرة .

إنتهى الرحالة من شرب العصير و شكرا بطرس ثم شرعا ينصرفان . إلا أن أحدهما عاد إلى بطرس مبتسماً هامساً في أذنه :

ـ لم أصدقك . لو كانا من دينين مختلفين كنت أدركت ذلك حين وقت الصلاة . أنت تكذب يا فتى .

سخر بطرس من تهديد الرحالة الذي يريد أن يظهر فطنته .

إنتظر حتى رحل عنه مسافة خطوة

هكذا تعلم من شيخه الجليل

أن يرد بعد أن يتمهل

ثم هتف بالرحال :

ـ لحظة ، قد نسيت الهدية

أعطى الرحالة قارورة من العنب ثم جذبه إليه جذبة خفيفة هامساً .

ـ نعم غير مختلفين . حينما كانا ينتهيان من الصلاة كانا يرددان نفس الكلمة :

كانا يقولان "آمين"

2014_12_26

17 التيجان البيضاء

ـالمكان لا يتسع لخبرتين

ـلا بد أن نضخ دماء جديده

ـهذا هو دورنا الآن

كلمات سخيفة في طعم البيض النيء

بهذه البساطة يتم تجاوز الخبرة و الإنتماء و سنين العمر

هكذا تدبر الأستاذ ثابت تلك الكلمات التي جاءت إليه مـن رئـيس مجلس إدارة الشركة

إنه يعلم تمام العلم ما يربض بقاع جبل الثلج الرابض أمامه

فلقد تدربا معاً على لغة الجسد في برنامج تدريبي قديم

الفارق أن ثابت قرر ألا يتلوّن

إنها السياسة القادمة من الشركة الأم بالولايات المتحده

إعطاء الفرص للأجيال الجديده

لكنها ليست للأجيال القادمة بل للأفراد القابلة للتلوّن حسب الوضع الجديد .

هل هو من ضمن هؤلاء أم لا ؟

في كل الأحوال هو ليس بحال جيد

لكن كيف يمكن أن . . . . .

قاطع تفكيره خبط على الباب

قبل أن يفكر في أن يرد بالتفضل سمع رتاج الباب يفتح و بقوة .

إلتفت ليرى من دخل عليه المكتب

شاب في منتصف الثلاثينات طويل القامة بملابس غير رسمية تعكس سياسة المرحلة

سترة بنية و قميص أبيض مع بنطلون كاكي و حذاء رياضي بنفس اللون

ـ ثابت؟

قالها بغلظة رعاة البقر

ثابت؟!

تجاوز عدم وجود رسميات و أومأ برأسه

ـ أحمد مطاوع المدير الجديد

قالها و هو ماداً يده و الأخرى بها علبة كرتونية تحوي مقتنياته المكتبية إستعداداً لإحتلال المكتب

إذن الفظاظة هى الشعار

و لا يفل صلف الثلاثينات إلا صفعة من أواخر الخمسينات

بدأ مطاوع في تعليق شهاداته العلمية الدولية معطياً ظهره لثابت

ـ لعلك سعيد أنك سترتاح من صداع الشركة المزمن، المنافسة أصبحت شرسة و تزداد إحتداماً يوماً بعد يوم. أحب أن نجلس سوياً كي تطلعني على خطتك لتسليم المل . ما رأيك، زوايا البرواز معتدلة؟

لاحظ عدم وجود رد

إلتفت فلم يجد ثابت بالمكتب

بُهت للفعل لكنه توقع أن يكون هناك عراك فكري بينهما

فهو الطموح الذكي النشط و الآخر من الخيول المسنّة

لا داعي للقلق ، سيرحل بفكره المتحجر و ينعم بسلطان الإدارات .

مرت أيام تسليم العمل على ثابت فاترة فتور لقاء المطلّقين و كئيبة كآبة سبتمبر.

حتى أنه لم يشعر بأي أحاسيس في حفل وداعه للشركة رغم دموع المودعين و نظرات الإمتنان لكنه حافظ على إتزانه و قرر ألا يتعامل مع الموقف بعواطفه بل بعقله الواعي .

لاحظ مطاوع كيف يحترم الجميع ثابت صغيراً كان أم كبيراً .

حاول جاهداً أن يضمر شعور الحسد الذي بدأ يتملكه ،

فثابت لا ينادى إلا بثابت بك كما أن لديه ملكة لا توجد في الكتب و لا تكتسب من شهاده

نفوذ الشخصية

نعم ، ثابت بك له تأثير إيجابي على الآخرين

ثابت بك؟!

تعجب أنه قال كلمة "بك" في خاطره

لقد أصابته عدوى النفوذ

بالفعل ليس بالكلام فرض ثابت بك أسلوبه في الأيام الأخيرة

بدا شاباً في أواخر الخمسينات عازفاً ماهراً للعلاقات الإنسانية مما أظهر تباين واضح بينه و بين طاووسية مطاوع الذي طالما ظهرت عاكسة خواءً إنسانياً

لكن الحقيقة حدثت و أصبح مطاوع المدير و ثابت خارج دائرة الضوء

حقيقة الأمر أن مطاوع مجتهد و يدرك تلابيب إدارة الأعمال لكنـه لا يمتزج إنسانياً إلا مع مرتادي التواصل الإجتماعي و القهوه الأمريكية السخيفة و أصحاب الكلام الفرانكوأراب الذي يبدوا كالشاذ جنسياً فهو ليس بعربي و لا بإنجليزي .

أما ثابت فكان قادراً على شخصنة الحوار و جعل من أمامه يرغب في أن يكون أفضل دون إطالة .

إلا أن جاء يوم لم يكن متوقعاً

فيروس إليكتروني أصاب الحاسبات الرئيسية فأصبحت غير قادرة عن أي عمل من تحديث أو حذف أو تغيير للبيانات .

حتى أجهزة التخزين الإحتياطية صارت عاجزة عن العمل .

حاول مطاوع مع إدارة الحاسبات فعل أي شيء أو كل شيء

بدأ الإتصال بالشركة الأم حيث أن تبعات مثل هذا الموقف ستؤزِّم من موقفه أمام الشركة و أمام رئيس مجلس الإدارة

رفضت جميع الأجهزة الإنصياع

لولا المنطق لقيل إنه إضراب إليكتروني

وصل الأمر للجميع و النتيجة واحده

إذن لا حل

أو بمعنى أدق لا حل إلا الغير مرغوب فيه و إن بدا غير مرحب به

الإتصال بثابت

بالتأكيد لم يكن الإتصال من مطاوع الذي بدا عليه توتر قليل الخبرة و قلة الحيلة

لم تعد الشهادات المعتمدة ولا الجامعات الخارجية أو اللسان الأعوج مع الأداء الطاووسي نافعين

في أقل من ساعتين كان ثابت قد حضر إلى مقر الشركة

إستُقبل إستقبال الجراح العالمي القادم لعملية في مخ صاحب السمو الملكي .

الكل يهرول وراءه منتظراً كلمة أو أمر يدل على نتيجة إيجابية

كان في يده مجموعة أوراق بدت قديمة

طلب على الفور الإجتماع برؤساء الإدارات التي تعرضت لهذا الخلل

شمل الإجتماع الجميع و لاحظ مطاوع كيف إستطاع ثابت أن يسيطر

على زمام الموقف في هدوء و ثقة و حزم .

كان حقاً قائداً فهو ليست لديه سلطة ليأمر أحدهم بل لديه نفوذ بالغ للعظم يشحذ الهمم و يوقظ الإرادة

حتى ثابت نفسه كان له قراراً مختلفاً

لقد مرت عليه أزمات مثيلة من قبل لكنه لم يكن من أصحاب الإستعراض و التباهي

تعامل مع الموقف على أنه جولة أخيرة تُظهر براعتة الفنية و الإدارية و الإنسانية

عاد الجميع إلى المدرسة القديمة

مدرسة الورقة و القلم

كان هناك جهاز قديم لم يكن في حسبان شبكة إتصالات الشركة و لا الإدارات

في إحدى غرف الشركة القديمة يتصل طابعة

هدف هذا الجهاز هو تسجيل كل ما تم من اوامر تحديث على مستوى حواسب الإدارات .

طبعاً لم يكن هناك ورق تتغذى عليه الطابعة المسكينة

لذلك تم تغذيتها و إستجابت في الطباعة و بدأت في طبع أوامر منذ أيام مضت دليل على عدم تغذيتها

ثم بدأ ثابت العزف

المايسترو في غرفة القاعات و الإدارات تحمل نسخ السجل المطبوع كالنوتة الموسيقية

تم رصد أول جهاز تعرض للفيروس

و بدأت رحلة التحديث و عزل الأجهزة التي يتم التأكد أنها سليمة

تعامل ثابت مع مطاوع على أنه جزء من الفريق و لم يتجاهله عن عمد

لكن فارق الخبرة جعل مطاوع يبدوا مديراً لمكتب ثابت

كل شيء يدار كخلية نحل دون إستخدام للحاسبات مع التأكد من ان جميع الأجهزة سليمة واحداً تلو الآخر

إستمر الحال على هذا طوال اليوم

ثابت يزدان خبرة و مطاوع يوصم بقلتها

ـهل تم شراء برنامج صيانة الشبكات الذي أوصي به في آخر لجنة فنية ؟

قالها ثابت موجهاً كلامه لرئيس مجلس الإدارة الذي نظر شزراً إلى

مطاوع

ـكانت وجهة النظر أنه لا داعي لإستخدامه و لدينا طرق " أحـدث " لمحاربة الفيروسات

طعن رئيس الشركة مطاوع بهذه الكلمة في جنبه

" أحدث "

لقد بغضها و بغضه معاً في نفس الوقت

ـنبدأ التشغيل

قالها ثابت في حزم لمدير قطاع التشغيل الذي رد رداً بليغاً أمام الجميع بمن فيهم رئيس الشركة :

ـ تمام يا ريّس ثابت!

عادت الأجهزة للعمل و بدأ تجربة جميـع الشـبكات الـتي إسـتجابت بالفعل .

هلل الحاضرين بنجاح الخطة اليدوية التي لم تكن تحدث لـولا براعـة ثابت في إدارة الناس قبل الأزمة

هنأ الجميع ثابت لكنه هنأ نفسه قبل كل شيء

لقد إستطاع أن يعطي أفضل ما لديه في آخر جولة

عرض عليه رئيس الشركة أن يكون مستشاراً لكنه رفض أن يرد و وعد بأن يفكر .

سار بين أروقة الشركة يسمع تصفيق القلوب قبل الكفوف

إنه إستعراض لحرس شرف الشركة

كادت عينيه أن تدمع لكنه تماسك

شعر بأنه يملك الدنيا كلها و أنه مازال قادراً على العطاء لكن بشكل آخر

وصل إلى السيارة بعد أن أوصله أفراد الشركة إليها لكنه طلب منهم في أدب أن يعودوا جميعاً

و بقي مطاوع الذي بادره ثابت قائلاً :

ـ أستاذ مطاوع ، أرجوك تفضل

تقدم مطاوع على إستحياء نحو ثابت و بادره

ـ أشكرك

ـ لم أفعل شيء مجرد دوري

ـ لا أتكلم عن اليوم

ثم أشار إلى رأس ثابت المزدانة بشعره الأبيض

ـ تلك التيجان لها قيمة

تنهد ثابت في هدوء ثم قال مشيراً لرأسه

ـإن أردت أن يكن لك تاج من تلك التيجان، عليك أن تقرأ الناس حتى و لو كانت لغاتهم مختلفة عنك و أن تكون أكمامك كاشفة عن يداك . لقد تعلمنا في ظروف أصعب و إمكانات أقل لكننا قررنا أن نتعلم. الآن لديك إمكانات أفضل هؤلاء .

ثم أشار للعاملين الصغار بالشركة

ـ و هؤلاء

ثم أشار لأصحابه من حاملي التيجان البيضاء

ثم ختم مطاوع إعتذاره بكلمة جاءت في محلها و هو يصافح ثابت بحرارة:

ـ تمام يا ريّس ثابت

2014_12_5

هذا الكتاب يحوي قصصاً قد حدثت و ستحدث .

إحترمت في سرده دقائق القاريء و القارئة المحدوده عبر اليوم .

و ما هو إلا كتاب فقط لمن يريد في هذه الحياه الوامضه

أن يلحظ الجوهر و يُجليه عما يبهر و يتلألأ حوله من الصدأ اللامع

عن الكاتب :

أحمد إبراهيم الإسكندراني

مواليد أكتوبر 1977

حاصل على بكالوريوس نظم المعلومات و علوم الحاسب جامعة 6 أكتوبر سنة 2002 و ماجيستير إدارة الاعمال من جامعة إسلسكا الفرنسية سنة 2014

له أكثر من 50 قصة قصيره بالعربية و الإنجليزية

الفهرس

إهداء 3

رسالة فوق ضريح 5

هديل الأسد 10

ريشة من جناح شيطان 12

خطوة للوراء 16

بين شيخين 32

وردية ليلية 38

حينما تماست السماء بالارض 44

حبا الفن معا 48

حينما تسمع العين 52

عازفة الكمان 57

معرض شركات 66

قرة العين 75
قليل من الهدوء 83
السادة الأتباع 92
الزاوية الواحدة 105
شيخ الدير 115
التيجان البيضاء 124